سلسلة محاضرات نوعية لطلاب العلم

بمعهد آفاق للبناء العقدي

رفع كفاءة طالب العلم

✍ حسين عبد الرازق

المحاضرة الثانية:

معوقات طلب العلم، وسبل علاجها.

معوقاتٌ تصدُّ عن الشروع في طلب العلم، أو الاستمرارِ عليه، أو تحقيق أهدافه، الخُلُقية، والمهاريَّة، والمعرفية، والدعويّة، وسُبلُ علاجها، وهي شرح لأسباب ظاهرة قلة الكفاءات العلمية والدعوية والإصلاحية والتعليمية مع سبل علاجها والوقاية منها.

ثَم عوائقُ تحولُ بين الطالبِ وبين الشروعِ في الطلب، أو تمنعُ تحصيله ثمرتَه (إيمانيًا، وخلقيا، ومهاريا، ومعرفيا) وتلك المعوقات المذكورة هنا هي خلاصة تجربة لي مستمرة منذ سنوات في طلب العلم والتدريس في محافظات كثيرة من مصر وبلدان كثيرة وصرّح لي بها طلاب، أو علمتُها بالاستقراء من خلال الدورات والمحاضرات ومن خلال رسائل كثيرة في وسائل التواصل. وغيرها.

وأذكرُ هنا أشهر تلك المعوقات، وتحليلها وسُبل علاجها إن شاء الله على وجه الاختصار.

لا يلزم أن ترِدَ كل هذه المعوقات في حياة الطالب، ربما بعضها أو شيء منها، فمعرفتُها ومعرفةُ أسبابها وسبلِ الوقاية منها وعلاجِها مهمة لك كطالب ثم كمعلم.

(١) أن يكـون المسـلم مبتلـى بـذنوب أو تقصـير فـي القيـام بالعمـل الصـالح فيسـتحي أن يطلب العلم وهو على تلك الحالة.

وجدت كثيرا كثيرا من الشباب الذي يحبون العلم، ويريدون طلبه يُصدُّون عن بمثل ذلك.

فأقول: الحياءُ من التقصير، والذنوبِ، والخوفُ من عواقبها هذا من أخص صفات المؤمن، وهي الحد الفاصل بين المؤمن والفاجر.

ولكن: يخطئ كثير من الناس في التعامل معها.

فمن أخطر ما يُوقِع الشيطانُ فيه الشخصَ العاصي الذي يستحي من معصيته:

- ✓ أن يُزهّده في حسنةٍ كان يريد أن يعملها ويسهُل عليه عملُها (بحجة: ملهاش لازمة) فماذا تفعل هذه مع المصائب التي ترتكبها؟!
- ✓ ويُدخِله في معصية كان يمكنه بسهولةٍ أن يتركها (بحجة: هي جات على دي يعني).

مرةً فمرّة: تصيرُ المعصية عادةً ولا يغتمُّ لها العبد ولا يحاول إزالة أثرها بالعمل الصالح وبالاستغفار ويذهبُ حياؤه من المعصية.

وهذه علامةُ الفجور التي ذكرها ابنُ مسعود ﷺ فقد قال: «**الفاجر يرى ذنبه كذبابةٍ وقفت على أنفه، فقال بها هكذا**».

أما المؤمن فيرى ذنبه كالجبل يخشى أن يقع عليه، فلا يزال يستحي، ويهتم، ويغتمّ، فيستغفر، ويُعوّض حتى تتحول المحنة إلى مِنحة، والغمُ إلى فرحة، والغرورُ إلى تواضعٍ، واستكانة لله، ورحمةٍ بالخلق.

فالحياءُ من المعصية وقودُ التوبةِ والاستغفار والتعويض والانكسار، وذهابُه ذهابٌ لهذا الخير، وبدايةُ الفجور.

وفي بيان ذلك، قال ابنُ القيم رحمه الله:

«فإذا أراد الله بعبده خيرا: فَتح له بابا من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستغاثة به وصدق اللَجأ إليه ودوامِ التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات =ما تكون تلك السيئةُ به سببَ رحمته حتى يقول عدوُ الله/ الشيطانُ: يا ليتني تركته ولم أُوقِعه.

وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار قالوا كيف؟

قال: يعملُ الذنب فلا يزال نصبَ عينيه خائفا منه مُشفقا وجلا باكيا نادما مُستحيا من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة))

وقال قبلها عن لُطف الله بعبده:

((ويفعل الحسنة فلا يزال يَمُنُّ بها على ربه، ويتكبر بها ويرى نفسه ويعجب بها ويستطيل بها، ويقول: فعلتُ ، وفعلت = فيُورثه ذلك من العُجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه.

فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيراً = ابتلاه بأمر يَكسِره به ويذلُّ به عنقه، ويُصغّره به نفسه عنده.

وإن أراد به غير ذلك = خَلّاهُ وعجبه وكبره.

وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه؛ فان العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق: ألا يكِلك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان: أن يَكِلَكَ الله تعالى إلى نفسك))

قال ابنُ تيمية رحمه الله: « قال بعضهم لشيخه: إني أذنب قال: تُب، قال: ثم أعود، قال: تُب قال: ثم أعود، قال: تب قال: إلى متى قال: إلى أن تُحزِن الشيطان».

وقال تعالى: ﴿ ربُّكم أعلمُ بما في نفوسِكم ۚ إنْ تكونوا صالحين فإنّه كان للأوّابين غفورا ﴾.

إنْ أصلحتُم بعد هفوةٍ أو زلّة تجدونَه غفورا سبحانه.

قال سعيد بن المسيّب: «هو الذي يُصيبُ الذّنب ثم يتوب، ثم يُصيب ثم يتوب، ثم يُصيب ثم يتوب».

الخلاصة:

كيف يستثمر الطالب هذا الخاطر الذي هو الحياء من طلب العلم وهو مقصّر بكلمة واحدة ((المجاهدة في طلب أسباب الاستقامة وتعظيم الذنب والحذر من سيئات الأعمال والمبادرة إلى الاستغفار وطلب التوبة، ومكاثرة ذلك بالحسنات)) والاعتبار بالأغلب.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

لم يُصّروا على ما فعلوا = لم يرض أنْ يبقى مُذنباً دون توبة واستغفار، مع مجاهدته لتركه والأخذ بأسباب ذلك حيثُ جعل تذكُّرهم واستغفارهم = عدم إصرار.

إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا.

وطلب الفقه في الدين من أعظم القربات التي تُصرف بها عن هوى النفس، وتؤجر عليها.

فالجواب باختصار: ابق في طلب العلم وجاهد نفسك في الطاعات وترك ما لا يرضي اللهَ.

(٢) ومن المعوقات في باب النيّة والإرادة

ضعف الطالب في استحضار معاني العبودية لله في طلبه من حُسن النية والإخلاص والاستعانة بالله والافتقار إليه وكثرة دعائه.

قَالَ مُهَنَّا: قُلْتُ لِأَحْمَدَ: حَدِّثْنَا مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ قَالَ: «طَلَبُ الْعِلْمِ قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ قُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يُصَحِّحُ النِّيَّةَ قَالَ يَنْوِي يَتَوَاضَعُ فِيهِ وَيَنْفِي عَنْهُ الْجَهْلَ».

قال ابنُ القيّم: «من طلب العلم ليُحيي به الإسلامَ فهو من الصديقين، ودرجته بعد درجة النبوة، فإذا أفتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: انفتح له طريق الهدى». الفتاوى ٥/١١٨

وقال رحمه الله: «رُبما طالعتُ على الآيةِ الواحدةِ نحوَ مائةِ تفسيرٍ، ثم أسألُ اللهَ الفهمَ وأقول: يا مُعلم آدمَ علِّمْنِي».

وخلاصة ذلك قولُ النبي ﷺ : "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ".

ومن دخل طلب العلم أو غيره دون فقه هذا المعنى والعمل به فقدْ حُرِمَ أخص أسباب الهداية.

والخلاصة:

من حرص على سلامة قلبه= انتفع بقليل العلم.

ومن لم يكن كذلك = فلم تزده المعرفةُ إلا حيرةً وضلالا.

قال ابن تيمية في وصيته الجامعة لأبي القاسم المغربي حينما سألَه عن الكتب التي يرجع إليها في طلب العلم:

«فمن نوَّرَ اللهُ قلبَه هداهُ بما يبلُغُه من ذلك -**أي: من الكتب والمعارف**-، ومَن أعماهُ لم تزدْه كثرةُ الكتبِ إلا حيرةً وضلالا».

(٣) عدمُ الشعور بقيمة طلب العلم، والفقه في الدين والدعوة إلى الله مما يجعله يسهل عليه تركه عند أول عقبة تقابله.

وهذا ليس خاصا بطلب العلم بل كل هدف يُطلب شريفا كان أو حقيرا إذا لم يكن صاحبُه عاما بفضله مُوقنا به فليس عنده ما يُصبّره عليه أو يحمله على تخطي العقبات بل يستسلم عند أول عقبة، وربما يصبر قليلا ثم يملُّ ويتوقف لذلك يحتاج الطالب بين وقت وآخر من تذكر قيمة ما يطلب وشرفه يُصبِّر نفسه به.

- قال اللَّه تعالى للنبي ﷺ: ﴿ وقل رب زدني علماً﴾. (طه ١١٤).
- وقال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- وقال تعالى: ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر ٩).
- وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة ١١).
- وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر ٢٨).

- وعن معاوية ﷺ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: "من يرد اللَّه به خيراً يفقهه في الدين" مُتَّفَقٌ عَلَيه.
- وعن ابن مسعود ﷺ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللَّه مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه اللَّه الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها" مُتَّفَقٌ عَلَيهِ (١٣٧٧).
- وعن أبي موسى ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "مثل ما بعثني اللَّه به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع اللَّه بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فقه في دين اللَّه ونفعه ما بعثني اللَّه به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى اللَّه الذي أرسلت به" مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.
- وعن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال لعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: "فوالله لأن يهدي اللَّه بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل اللَّه له طريقاً إلى الجنة" رَوَاهُ مُسلِمٌ.
- وعنه أيضاً ﷺأن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: "من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا" رَوَاهُ مُسلِمٌ.
- وعنه ﷺ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" رَوَاهُ مُسلِمٌ.

(٤) التشتُت والتذبذب في تحديد الهدف الذي يقضي فيه عمره ويدخره قربة لله تعالى.

فمرة يريد أن يكون متخصصا في القرآن، ومرة في لغة أجنبية ليدعو إلى الله بها، ومرة يريد أن يكون كاتبا في جريدة، ومرة مجاهدا، ومرة داعيا ومرة طالبَ علم على المشايخ، ومرة طالب علم أكاديمي، ومرة صاحب محتوى على يوتيوب، ومرة رجلَ أعمال غني يُنفق على المشروعات الخيرية أو غير ذلك.

والحَيرة بين الأهداف المرتبطة بالزمن: هذا العام أتعلم اللغة الإنجليزية أن أحفظ القرآن أم ألتحق بالجيم وأتدرب بانتظام ويضيع العمر في ذلك التردد.

وكثير من أصحاب الهمم وإرادة الخير مصابون بذلك، فلابد من تحديد الهدف أولا ليكون القيمة الرئيسة المركزية عندك لتسعى في سُبله وإنجازه حتى لا تتشتت ويضيعَ عليك عمرك وجهدُك.

وفي ذلك قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومعلومٌ أن من اجتمع همُّه على شيء واحدٍ كان أبلغَ فيه ممّن تفرّق همُّه في أعمالٍ متنوعة».

(٥) ضعف الإرادة، وقلة الصبر، وسُرعة المَلل، وهشاشة العزم.

كثير من الناس لديهم حُب ورغبة ونوعُ إرادة لشيء ما، ويشعرون بقيمته وأثره لكنهم ضعيفو الإرادة سريعو الملل لا يصبرون. لا تجد لهم عزما.

والفرقُ بين الإرادة والعَزم:

- ✓ **الإرادةُ هي:**

  الخطوةُ الأولى...هي الشرارةُ والمحرِّك والدافعُ والرغبةُ للشروع في الطريق

- ✓ **أمّا العزمُ فهو:**

  الوقودُ الذي يبقى مُشتعلا يجعلُك تُواظبُ على الطريق وتصبر عليه، وتتعاهدُه، وتصمدُ فيه حتى النهاية ولا تتم الأعمالُ العظيمةُ بالقوة، ولكن بالمثابرة.

ومشكلة أكثر الناس ليست في عدم وجود الإرادة الأولى والمُؤقتة، بل في: بقاء العزمِ مُشتعِلًا حتى النهاية! وكثير منهم سريعُ المَلل، لا يصبر، بل ربّما يرجع بعدما قطع مشوارا طويلا وسلكَ أصعب الخطوات، وكان الفتحُ قريبا والثمرةُ وشيكة.

تدرون ما الثمرةُ:

الثمرةُ البقاءُ على المطالب والأهداف، وما الحياةُ إلا مجموعة أهداف ومطالب، يبقى الإنسانُ حيًا ما طلبَها ولا يموتُ ما دام عليها، فإذا تركها= ماتَ، ولا يبقى لحياتِه معنى ولا طعمٌ، يبقى جسدا بلا رُوح، ومظهرًا دون جوهر، جسدٌ يأكلُ ويشربُ ويتكاثرُ، وتكونُ الأنعامُ أهدى منه سبيلًا.

ومطالبُ الناس التي يسعَون لها شتى، لا حصر لها:

وإذا كانت النُّفوسُ كِباراً تَعِبَت في مُرادِها الأجسامُ.

ومَن رضِي بالرّاحة وآثرها فقد ظلمَ نفسَه، ولا يُتعِبُ نفسَه في تحقيق هدفه إلا من تعزُّ عليه نفسُه أن تُستهلَك هباءً.

إنما هي حياةٌ واحدة ثم يجني العبدُ ما زرع خالدًا فيه، فليُقدِّمْ لحياته الباقية، وأعظمُ مطلبٍ يحي به العبدُ: الدارُ الآخرة.

وأعظمُ سَعيٍ: السعيُ لها، وأعظمُ ما يتفاضل فيه الناس بقدر سعيِهم لها.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾

وإنَّ عزيمةً تتعثرُ في طريق الخير = خيرٌ من عزيمة استحكمت على تركه والرجوع عنه، «ولا يُستطاع العلم براحة الجسم» كما قال يحي بن أبي كثير رحمه الله.

لحظة النجاح وفرحة الإنجاز

متى تنتقل من خيالك إلى الواقع؟

عندما تدرك ذلك الأمر:

الشخصُ الناجح في عين المعجَب به –تماما –يُشبه البناء الجميل المكتمل يراه الناس وقتَ اكتماله، لم يروا منظرَه ولا نقصه قبل أن يكتمل.

هكذا خلف كل ناجح: عُمُرٌ طويل وبَذلٌ كبير وتعبٌ، ونقصٌ، وإخفاقات وتجارب كثيرة فاشلة لكنّه –فقط–: لم يتعجّل الاكتمال، ولم تُعجزْه الإخفاقات، وصبرَ، بقي يحاول، ويبني ويضع حجرا على حجر، ويمشي خطوة خطوة، يسقط فينفُض التراب وينهض. حتى وصل إلى الحال الذي أعجبك.

*نفسُ ذلك الشخص الذي تُعجَب به وترجو أن تكون مثلَه لو كنتَ رأيت بداياته لم يكن ليثيرَ اهتمامك. تماما كهذا البناء الجميل وقت إعداده قبل اكتماله... هكذا ترى بطلا رياضيّا، أو طالب علم متميّزًا صنّف كتابا محققا أو ألقى محاضرةً مبهرة، أو مهندسا ناجحا، أو شخصا مُتقنًا للغة أجنبيّة، أو حافظَ قرآن ماهرا به يتلوه كلّه من صدره كما تتلو الفاتحة تقول: يااا نفسي أكون هكذا.

فالذي يُفسد عليك هذه النهاية السعيدة، وأنْ تعيش تلك الفرحة:

أنّك تريد أن تكون مكان البطل والناجح والمتميّز وقت استلام الجائزة، دون أن تسلُك طريقه الشاقّة إلى تلك البطولة والنجاح والتميّز !!!! وهذا لن يكون.

ولو كان = لَما بقيَ للنجاح طعمٌ، ولا فَرحٌ

فإنّ التعب والبذل في الإعداد =هو سِرُّ الفرح عند التتويج والجزاء

واعتبِرْ ذلك بأعظم جائزة، حيثُ يقولُ الربُّ الكريم لأهل الجنة:

﴿إنّ هذا كان لكم جزاءً۝ وكان سعيُكم مشكورًا﴾، ﴿وكان سعيُكم مشكورًا﴾، ﴿وما يُلقّاها إلا الذين صبروا﴾

(٦) الشروط الوهميّة التي يُعلق أحدُهم على توفرها طلبَه للعلم.

ومنها:

- ✓ انتظار الخطة الذهبية اللولبية السحرية التي لا خطأ فيها.
- ✓ وانتظار الشيخ أو طالب العلم الذي يتبنّاه علميا.
- ✓ وانتظار الوقت والتفرّغ والبال الرايق وصفاء الذهن وانتهاء المشاكل.
- ✓ وانتظار المكتبة الكاملة.
- ✓ وانتظار الكفالة والخضرة والماء والوجه الحسن!

عندهم وقتٌ وقوةٌ وعقلٌ للطلب يُعطلونها كسلا أو جهلا ينتظرون توفر هذه الإمكانات.

ومنهم:

من كان يتعلم منذ سنوات مع بعض أهل بلده ممن يبذل لهم من وقته وجهده ويتابعهم، ومع ذلك تركوه مع علمهم بفضله وعلمه بحُجة أنه شابٌ والمفروض أن نأخذ العلم عن الكبار (وهم هنا يعنون كبار السنّ الذي يربطون بينه وبين التميز) الآن هؤلاء منذ ما يقارب عشر سنوات لم يبرحوا مكانهم وقد ذهبوا إلى هؤلاء الكبار فما أعطوهم أي وقت ولا متابعة ولا شيء اللهم إلا الدرس الأسبوعي العام الذي لا يزيد في أحسن أحواله عن ساعة

ومنهم:

من أراد تعلم القرآن فانتظر شيخا صاحبِ إسناد عال ليقرأ عليه وظل سنوات ينتظره ولا يزال!

بينما غيره حاول التواصل مع شيخ متقن في بلده فلم يجد من يعطيه وقتا فاستعان بالله وبدأ بنفسه وبالمتاح فسمِع القرآن من أحد القراء الكبار كالحصري والمنشاوي وحفظ وراجع، نعم كانت تقع بعض الأخطاء لكن ماذا يفعل؟ هذا هو المتاح، وأنهى القرآن كاملا خلال أشهر يسيرة جدا، وما أن انتهى من الحفظ حتى يسّر الله له أكبر شيخ في بلده وصارت بينهما صداقة فقرأ عليه وعلمه، ولا زال غيره ينتظر الشيخ المقرئ منذ سنوات.

ومنهم:

من ينتظر صحبة زملاء ليدرس معهم ويشجعوه، ولازال منذ سنوات يحدثني أنه لم يبدأ لأنه لم يجد حوله من يشجعه!

وغير ذلك من القيود الوهمية والشروط المصطنعة التي يُجادل الإنسان بها عن نفسه يُبرر كسله وقعوده

وأقول والله لم تكن المشكلة قط في الإمكانات والأدوات = المشكلة مشكلة إرادة وعزم واجتهاد بحسب المتوفر وحُسن استثمار المُتاح.

*__أعرفُ__ نابغين متميّزين في طلب العلم والدّعوة والتدريس ليسوا مُتفرّغين بل موظفون ولهم دوامٌ ٨ ساعات يوميّة وأكثر لكنّهم فقط يُحبّون ويتقرّبون ويشعرون بالمسؤولية فيدّخرون كلَّ فراغٍ مهما صغُر للدراسة والحفظ والمدارسة،

كما أعرف –بل عِشتُ –مع مَن تفرّغَ تماما لطلب العلم وكُفِل كفالةً تامّة ليجعل وقته كلّه للتحصيل = فوالله ما حصّل شيئا يُذكر، وكنتُ أراهم ينامون على الأقل ١٢ ساعة يوميّا مُوزّعةً على اليوم.

يقوم من النوم تعبان فيكمّل نوم، لا شعور له بالمسؤولية. ويتفنّن في إضاعة الوقت. ولو شدّ حيلو ساعة وذاكِر أو حفظ= بيريّح جنبها خمس ساعات! عنده الأدوات شبه كاملة: شيخ، طلاب علم زملاء، مكتبات متكاملة. أقلام دفاتر. صحة... كمبيوتر، كتب. فقط: يكوِي القميص والغُترة ويُمسك بيده كتابا ذهابً وإيابًا ويقترب من مجلس الشيخ، ولا بأس أن يُشارك بأي تعليق ليظهر في الصورة. وهو يُشعر مَن حوله بأنه مهتمّ شديد الحفاظ على وقته ....

ثمّ يرجع إلى أهله وقومه وقد انتظروا منه عالِما أو حتى داعيا. بعد كلّ هذا الانقطاع والتفرّغ والغُربة والنفقات. فإذا به صِفر اليديْن...

لم تكن القضيّة يومًا في الأدوات والإمكانات. القضيّة باختصار: عَزمٌ وإرادة ونيّة صالحة. تفتح المُغلق، وتجلبُ إعانة الله تعالى، "ومَن بطّأ به عملُه= لم يُسرع به نسبُه"

*__لا أعلَمُ أحدا__ كان مؤهلا للنبوغ العلمي والعطاء التعليمي كان سببًا في قُعوده وتحوّله عنه: ضعفُ أو عدم الإمكانيّات الماديّة أو نحوها.

ولكنّي أعلم المئات ممن عندهم مواهب وقدرات عالية جدا = أقعدهم عن النبوغ هواهم وكسلهم.

الإرادة تصنع الأدوات. لكنّ الأدوات –مهما كانت –لا تصنعُ الإرادة.

فهذا النوع من الناس لن يبرح مكانه أبدا وسيبقى هكذا يُمني نفسه، ومثل هؤلاء ولو توفرت لهم كل الشروط فلن يتحركوا، ببساطة: لأن مشكلتَهم ليست في الأدوات بل في الإرادة!

والشخصُ الذي يجتهدُ بحسب الأدواتِ المتاحةِ ويُحسِنُ استثمارَها=هو نفسُه الذي إذا توفّرتْ له أدوات أكثر سيجتهدُ أكثر وسيُبدعُ أكثر.

والشخصُ القاعدُ الذي يشترط اكتمالَ الأدوات ليبدأ=لو توفّرتْ له كلُّ الأدوات فلن يبدأ، لأنّ مشكلتَه ليست في نقص الأدوات بل في ((العَزْم / الإرادة)).

وهذا عامٌّ في كل مجال: (طلب علم –تعلُّم قرآن–ممارسة رياضة–الوظيفة –تعلُّم لغة–بل حتى في الفرح والمتعة والتنزُّه....)

والقاعدة العامّة المُحكمَة:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا *وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾

ومما يتفرّع عنها منتظر من يتبناه ويوجهه ويتابعه ويراقبه ويحاسبه ويشجعه ويكافئه ويشعر بتقدمه. ووو

من أعظم القواعد التي يجب أن تفهمها وأنت تطلبُ أي نجاح أو خير أو هدف قاعدة:

{محدِّش فاضي لك} {محدّش فاضي لك}

فلا تنتظر أحدَهم يتبنّاك أو يدعوك أو يشجعك أو يحفِّزك أو يُتابعك أو يلاحظ تطورك أو يُثني عليك أو يُكافئك أو. أو... كُن أنت ذلك كلَّه لنفسك. مُستعينا بالله مُخلصا القصد.

- ✓ إذا لم تقهرْ نفسك وتغصبْها على النهوض من وَحل الكسل والنوم والإنترنت والملهيات والشواغل التافهة...
- ✓ إذا لم تُخلّصها من لُصوص الخير، وقُطّاع الطرق، ورفاق السوء.
- ✓ إذا لم تُجبرْها على ما فيه منفعتُك في دينك ودنياك...
- ✓ إذا لم تكن قويا في صُنع جو ملائم لأهدافك وتهيئة الأسباب لها= فستبقى في وَحْلٍ لا يمُر بك يومٌ إلا وأنت تغرز فيه أكثر. حتى يأتي وقتٌ مهما أردتَ فيه أن تخلُص منه أو ترتفع. مهما عزمتَ على ذلك فلن تجد قلبا ولا جسدا ولا صديقا يُعينُك.

- أفِق، انفض الغبار عن نفسك.
- اترك مقاعد المتفرجين وانزل السباق واختر ما يناسبك.
- لا تنشغل بأن يَعرف عنك أو عن عملك ونجاحك أحدٌ من الخلق....

ومن معوقات الاستمرار في الطلب:

(٧) وضعُ برنامجٍ أو خطةٍ لا تناسب ظروفَ الطالب قدراته ولا يستطيع الاستمرار عليها.

كأن يضع برنامجا شاقا يحتاج تفرغا كاملا وجهدا كبيرا بينما هو يعمل مثلا عشر ساعات في اليوم، أو عنده ما يشغله فإنه والحالةُ هذه لن يستطيع المواظبة عليه أو سيملُّ منه.

الحياة فيها واجبات ومهام أخرى وحقوق. وعدم تصور ذلك يؤدي على إما ترك طلب العلم جملةً أو التقصيرُ في الواجبات والحقوق.

والفرق بين علو الهمة وما نتكلم فيه:

أن علو الهمة تعني: إدراك الهدف والسعي فيه بقوة في كل فرصة تتاح وأدواتٍ متاحة واغتنام كل فراغ. وليس معناه الجنايةَ على الحقوق حق البيت والوالدين والعمل بل يصل إلى تضييع الفرائض كالصلوات أو التقصير فيها بحجة العلم. ثم ينتهي به لترك ذلك كله!

لو أنه وضع خطة مناسبة له وداوم على القليل لاجتمع القليل على القليل فصار كثيرا على مر الزمن، فالعبرةُ هنا على المواظبة، الإنجاز والنجاح في أي مجال –حفظ القرآن، تعلُّم اللغة، تعلّم العلم الشرعي، بناء الجسم، تربية الأولاد تطوير النفس في مجال عملك، كل هذا وغيره يحتاج خصلةً أساسيّة (**المواظبة ولو بالقليل**)

- ✓ **لم أر في حياتي مُواظبًا صابرا على عمل إلا ويفتح الله له.**
- ✓ **ولم أر مُتعجّل ثمرةٍ سريعَ الملل إلا وقد حُرِمَها.**

***الناس لا ينقسمون إلى ناجح وفاشل بل إلى:**

- ✓ مُواظب صابر.
- ✓ ومُتعجّل الثمرة سريع المِلل.

اجعلْ فعل الخير والتفوّق عادةً يوميّة لك تواظب عليها ولو بالقليل، ولا تفعله لمجرّد أن تُحقّق منه هدفا ثم تتركه ...!

ومنها

(٨) النظر إلى الهدف على بصورته الكاملة والانشغال بهذه الصورة بحجمها ومراحلها ومتطلباتها وعقباتها وصعوباتها.

كطالب أراد الالتحاق بجامعة فعلم أنّ الدراسة بها أربع وعنده ٤٢ مادة ومن ضمنها مواد صعبة أو لا يحبها. هو يقدر على الخطوات الأولى لكنه مشغول جدا بالصورة الكاملة. **فيُقرر الرجوع.**

يمسك المصحف فيريد أن يبدأ في وِرد اليوم لكنه يتذكّرُ ١١٤ سورة ثلاثين جزءا، وفيها سورة كذا وكذا وقد سمع كثيرا من أصدقائه يشكو من صعوبتها.

وهذا مِن أكبر المعوقات في طريق أي هدف.

ولو قُسِّم أجزاءً لَسهُل على طالبه أن يبني صرحَه حجرا حجرا.

قصة:

رجلٌ برِجْل واحدةٍ قطعَ مسافةً طويلة جريًا في الغابة، سُئل: كيف؟

قال: جعلتُ المسافةَ أجزاءً بحسب أشجار الغابة، فإذا شرعتُ في الجري لم أُفكّر إلا في الوصول إلى الشجرة الأولى فإذا بلغتُها صار هدفي الثانيةَ. وهكذا، ولو أني فكّرتُ في آخر المسافة وطُولها = لما تحرّكتُ من مكاني!

قلت:

هكذا كل هدف كبير، لابد أن تُقسِّمه مجموعة أهداف صغيرة، ولنا أسوة في تلك القصة:

تصوّر المشكلة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ* وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.

هذه الهدف الكبير، الذي لم تتوفّر مقوماته، ودونَه مُعوقات كبيرة، بدأ بخطوةٍ واحدة رُبّما لا يخطر بالبال أنّ لها علاقةً بالنتيجة أو أثرا فيها ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ...﴿لولا أن ربطنا على قلبها. ولتعلم أن وعد الله حق﴾.

كانت هي شرارةَ الخير، وبدايةَ الطريق، وأول حجر في الصرح الكبير العال.

#هكذا كل أهدافك الكبيرة تبدأ ب:

- ✓ وضوح الهدف، وتصوره،
- ✓ وتصور العقبات،
- ✓ والعلم بالأسباب
- ✓ والعمل عليها بترتيب وتدرُّج، مع اليقين بقيمتها الذي يحملُ على الصبر عليها والمواظبةِ في طلبها

هذا هو الخليط الذي يُحقق الأهداف.

هذا بشكل عام. أي هدف، سواء كان هدفا شريفًا أو غير شريف، كان لله أو لغيره.

فإن كانت مع ذلك لوجه الله وبالاستعانة به= كانت عملا صالحا وأُعِنتَ عليها ووُفِقتَ لخيرِها، وإلا فقد تكونُ مُهلِكةً لك إن تحقّقتْ، ويكون اجتهادُك فيها حسرةً عليك...

ويكون من لُطف الله بك إخفاقُك فيها وحرمانُك منها. **فتأمّل.**

الخليط الذي يُصنع به الهدف: وضوح الهدف

العلم بالأسباب–طلبُها–التدرج في القيام بها –مع العلم بقيمتها –والصبر عليها —والمواظبة.

فإتقانُ القرآنِ الكريم كاملا يبدأ بتعلُّمِ آية، وطريق الوحي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ ب(اقرأ)، ففكِّرْ في وِرْد اليوم فقط لا تنشغل بغيره.

فكهذا طريق القرآن:

واللهِ بقا أنجزتَه في شهر، في سنة، في خمسين. لم تُتمّه مش مشكلة = المطلوب هو أن تبقى تطلبُه وأن تلقى اللهَ وأنت تطلبُه، ليس عليك أن تصل، فالبقاءُ عليه هو النجاح نفسُه، والفشل فقط هو تلك اللحظة التي تتوقفُ فيها عن الطلب،

واعلمْ أنّ إرادةً تتعثرُ في طلب القرآن = خيرٌ ألف مرةٍ من عزيمةٍ استحكمتْ على تركِه، فاستعن بالله.

(٩) البدء من الصفر دَوما.

من أسباب الإخفاق، وعدم الإنجاز. مع بذل المجهود:

أنْ تكون مُضطرًا دَومًا أن تبدأ من الصفر؟

أرأيتَ من ينفُخ في الحطب فيخرج منه شرارةُ نارٍ، ثم يترك تلك الشرارة ولا يتعاهدُها بالنفخ. **ماذا سيحدث لها؟**

ستخمدُ تلك النار ثم تنطفئ، ويضيعُ عليه مجهودُ هذه النفخات.

- ✓ **ذلك مثل مَن يسير خطوات في اتجاه معيّن ولا يُتبع السير ولا يصبر**

مثالٌ:

- ✓ شخصٌ حفظ سورةً وتعِب فيها وسمّعها على شيخه. ثم انصرف عنها ظنًّا منه أنها ثبتتْ في قلبه.

بعد يومٍ واحد أو أسبوع سيرى نفسه مُضطرًّا لحفظها من جديد.

- ✓ وهذا شخصٌ درس كتابا مع شيخٍ وفهِمَه، لكنّه بعد انتهاء الكتاب وضعه على الرف ولم يُراجعه. فوجد نفسه بعد مُدّة يحتاج إلى البدء فيه من جديد.

- ✓ وهذا شخص أخذ دورةَ لغةٍ أو كمبيوتر أو تدرّبَ شهرا في الجيم. ثم لم يتعاهد ذلك ولم يستمرّ. فوجد نفسه بعد مُدّة لا أثرَ لما أخذ وقد ضاع تعبُه ومالُه ويحتاج أن يبدأ من الصفر!

أصلُ ذلك:

أنّ النفخ في الحطب يُعطي شرارة مؤقتة تحتاج أن تتعاهدها مُدة بالنفخ وألّا تتعجّل عليها بعد أن تصير نارًا قويّة = يُمكنك أن تتركها تشتعل وحدها مع مُتابعةٍ يسيرة من حينٍ لآخر.

هكذا تتعبُ لترتاح، أمّا من قدّم الراحة والعجلة فسيتمرّ معه التعب، وسيكون مُضطرًّا دومًا أن يبدأ من الصفر.

من أسباب الانقطاع عن طلب العلم:

(١١) الربطُ بين الاستمرار في الطلب، أو حفظ القرآن أو أي خير برؤية النتائج وظهور الثمرة.

وقد حدثني كثيرٌ من طلابِ العلم في بلدان مختلفة وقد قضوا عمرا طويلا في الطلب وبذلوا من أموالهم وقوتهم عزموا على ترك طلب العلم والسبب أنهم بعد كل ذلك لم يصلوا إلى ما أرادوا ليس لهم كتب ولا دروس ولا تلاميذ، ليسوا معروفين، لا يُلتمس عندهم العلم.

فأقولُ:

واللهِ خلال سنوات قصدتُ فيها طلبَ علوم الشريعة مررتُ كثيرا جدا بمحنٍ وابتلاءات ماديّة ومعنوية شديدة، وحديثِ نفسٍ قويّ بأنّي لا أصلحُ له أو بأنّ سِنّي قد كبِرتْ –فقد بدأتُ متأخرا–ولن أستدرك ما ضاع من عمري، وأنّ الدعاة والعلماء وطلاب العلم كثيرون، (الدنيا مش واقفة عليك يعني)

وأصدقاء يُزهدونني في ذلك الطريق، وبعضُهم يسخر، وغيرُ ذلك مما يصُدّ عن إكمال هذا الطريق، ويدعو لتركه، ويُزهّدُ في الاستمرار عليه، ويصرفُني عنه بقوّة، أو يُقنّعُني بالقدْر اليسير الذي حصّلتُه، وفُرَص عملٍ في مجالات مختلفة بمرتبات مُغرية جدا.

تلك الخُطوب كانت كفيلةً–لولا فضل ربي–أنْ أترُك الاستمرار وأقنع بالقدر اليسير الذي حصّلتُه، لم يُصبّرني على الاستمرار –بعد فضل ربّي سبحانه–إلّا معنى واحد فقط، وضعتُه أمام عيني (**لم يُفلِح غيرُه في تثبيتي**):

✓ **طلبُ الفقه في الدين عملٌ صالح يُحبّه، يُقرّبُ من الجنّة، أمرَ اللهُ خليله ﷺ أن يستزيد منه.**

* فمهما رأى الطالبُ ضعفَ فهمِه، أو قِلةَّ تحصيله، أو قلّة الثمرة، مهما رأى من يُزهده أو يسخر منه أو يُقلّل من أهمية طلبه، مهما رأى طلابَ علم كثيرين متميّزين غيره، مهما رأى سبْق الطلاب له وتأخّرَه عنهم أو غير ذلك=فلا يربط الاستمرار والجِدّية في الطلب بشيء من ذلك.

ذلك: أنّ نفسَ طلبه للعلم هو العبادة، طلبُ العلم: عبادةٌ وفقط.

فأنت رابحٌ على كل حال، وتجارتُك عند ربِّك لن تبور، لا يضيعُ عملُك،

من يربط استمراره على أي معنى آخر فهو مُعرَّضٌ للانقطاع، وهذا ما رأيتُه بعيني في مئات الأمثلة.

وستختلفُ نظرتُك إلى طلب العلم اختلافا كبيرا ومؤثراً

فإذا نظرتَ إليه على أنه:

قُربَة وعبادة، وسيلة لتزكية النفس، وطريق لرحمة الناس ودعوتهم وتعليمهم، وليس مجرد طريق لتحصيل المعرفة، ليس مقصودا: لتبدو عالما إذا تحدثت، ليس طريقا لصرف أنظار الناس إليك. أو لكسب المال.

وسيختلفُ تقييمُك لنفسك، بحيث إذا رأيت نفسَك تزدادُ معلوماتٍ ومعارفَ ولم تشعر بزيادةِ خيرٍ في خُلقك وعبادتك= فأنت بحاجة إلى مراجعة.

وتلك النياتُ الصالحة في طلب العلم تأتي شيئا فشيئا إن شاء الله.

ومن عظيم ما قاله الإمامُ المُفسر المحدث الفقيه مجاهد رحمه الله: «طلبْنا هذا العلمَ، وما لنا فيه كبيرُ نيّة، ثم رزق اللهُ فيه بعدُ النيّة».

وأقول بشكل عام:

الأشخاصُ الذين يعملون لدينهم في أي مجال إصلاحي (جهاد. دعوة. . تعليم. إنفاق ودعم. إغاثة أو نحوه.) بشرطِ أن يروا بأعيُنهم آثار وثمار أعمالهم الصالحة، ويشغلهم ذلك = **هؤلاء يطلبون شيئا لم يعدْهم الله به.**

فالدنيا ليست دار الجزاء الأوفَى نعم ربما يُري الله عبدَه شيئا من ذلك في الدّنيا لكنّ ذلك أبدا لم يكن –قطُّ –شرطا لقبول عمله عند الله أو ردّه، أو دليلا على إخلاصه وصلاحه، أو عدمه دليلا على عدم ذلك! هناك أنبياء صالحون مخلصون أرسلهم الله بدعوة حقٍ وآيات واضحات ليُطاعوا وقد بلّغوا رسالات ربهم قولا وعملا على أحسن وجه سيأتي الواحدُ منهم وليس معه أحد لم يتوقّف أحدٌ منهم عن دعوته قط.

أصل ذلك:

أن تعلم –بالتحديد–ماذا كُلّفت به وماذا ستُسأل عنه؟ فتنشغل بتحصيل أسبابه وتطوير نفسك فيه أمّا ما لستَ مكلّفا به= فالانشغال به مضيعةٌ للعمر وإهدار للطاقة قال الله تعالى لنبيّه ﷺ ﴿ فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

فلا تُكلِّف نفسك، ولا تقيّم نفسك بناءً على مثل ذلك.

ويُوشِك كلّ من علّق عمله وبذلَه على أن يرى ثماره ونتائجه في دُنياه أو يُكافئ عليه أو نحو ذلك= أن ينقطع هؤلاء يُريدون فردوسا على الأرض يُجزَون فيه الجزاء الأوفى على كلّ عمل !!!

(١١) وهو فرع على ما قبله، وقريب منه اختلال ميزان تقييم النفس في طريق طلب العلم مما يؤدي للإحباط واليأس.

كثيرٌ ممن أعرفهم وأحبُّهم وأحبُّ لهم الخير أُصيبوا بحالةٍ من اثنتيْن:

- ✓ **-الانفراد والعُزلة** (مش طايق يشوف حد ولا يتكلم مع حد وبيتهرّب من أصحابه، وعايش لامبالاة في كل حاجة).
- ✓ **-أو عايش حياته** وبيروح الشغل ويقابل الناس لكنه يمارس ذلك بشكل روتيني لأنه لابد منه لكنه مكتئب جدا ومخنوق وكاتم في نفسه.

والسببُ عندهم جميعا واحد:

أنه بعد هذا العمر لم يصِرْ هو (أو أبناؤه أو شريكُ حياته) إلى حيث أراد.

كان يحلُم بأن تكون حياتُه أو حياةُ أسرته على صورة معينةٍ وكانت تلك قضيتَه الكُبرى، وخطَّط لها، وسعى، وتعِب، وخسر كثيرا من الأشياء في سبيلها، وحَرَم نفسه من أشياء يُحِبُّها في سبيلها، وتجاوز كثيرا من العقبات.

ثم لم يحصل على ما أرادَ...

لم يستطع أن يواجه ذلك الواقع، ويستمر في السعي، فقَدَ الثقة في نفسه أو فقَدَ العزم على الاستمرار كثيرٌ منهم تأثّر عُضويّا بذلك أثرا بالغا وصل مع بعضهم لجلطات وضغط وغير ذلك.

فقرّر الهروب تماما ليس من هدفه فقط بل من كل شيء.

هذه ظاهرة منتشرة بين رجال ونساء، شباب وكبار

فأقول وبالله التوفيق:

***أولا:**

أن يَمُرَّ بالإنسان أوقاتٌ قليلة يشعر فيها بالخنقة والاكتئاب وحب الانفراد والهروب من المواجهة وضعف الثقة بالنفس واللامبالاة = **هذا في نفسه ليس مشكلة.**

بل لا أظن أحدا إلا يمر بذلك، ما دامتْ عابرة وليست غالبة.

لكن المشكلة التي يجب أن يُنتبه لها ويُلتمس لها العلاج:

- ✓ أن تستمر لمدة طويلة وان تصير هي الغالبة

***ثانيا:**

أعظمُ ما تواجه به تلك الحالة (أيًّا كان سببُها):

- ✓ الاستعانةُ بالله تعالى والافتقار إليه وكثرة دعائه والشكوى إليه).
- ✓ ثم بالعمل الصالح وأعظمُه الفرائض وأعظمُها: الصلوات الخمس في جماعة مع حضور القلب فيها قدر المستطاع...

من جملة ما أوصيك به هنا = مقياس النجاح يحتاج تعديلا!

انظرْ إلى الشيء قبل أن تعمل فيه، ثم انظرْ تأثيرك عليه. **وقارِنْ**

ولا تنظرْ إلى الصورة الكاملة له!

كيف؟

لو أنك تُريد إصلاح شخص ما، وبقيتَ معه مُدة تدعوه وتُعينُه = فانصلح قليلا فصار مثلا يُصلي ويصوم رمضان فقط، لكنه لم يصل إلى الصورة الكاملة التي تريدها =**فهذا نجاحٌ عظيم.**

مشكلتُك:

(والتي تجعلك تظن نفسك فاشلا) أنك تقيس ما وصلَ إليه فتُقارِنُه بالصورة الكاملة! = **وهذا خطأ.**

إنما تُقارنه بما كان عليه قبل دعوتك. فسترى النجاح لا شك.

- فالذي له ولدٌ بليد يرسُب في عشر مواد ثم جعله ينجح في واحدة منها= **هذا نجاح.**
- التي لها صديقةٌ متبرجة مُضيعة للصلاة لا تصوم=فاستطاعتْ أن تجعلها فقط تصلي= **هذا نجاح.** وهكذا...

وبكلمةٍ:

إن النجاح هو تكثيرُ الخير وتقليلُ الشر = هذا هو المعيار.

الفشلُ هو التوقف عن المحاولة، فما دُمتَ تحاولُ فأنت ناجحٌ.

-هذا شخص حاوَلَ حفظَ سورةً من القرآن فلم يستطع = **فتوقَّفَ.**

-وهذا آخر حاولَ أكثر من مرة إصلاحَ خُلُق ولده ورفع مستواه الدراسي. ثم ملَّ ذلك = **واقتنع بأن ولده لا يمكن تغييره وقرر ألا يهتم به.**

-وهذا آخرُ ذهب للممارسة الرياضة مرّةً فتَعِب ووَجد نفسه في اليوم التالي مُتعبا = **فقرر ألّا يذهب للرياضة.**

-وهذا لاعب قصَّر في مسابقة وانهزم فيها = **فتركَ رياضته التي يُحبُّها.**

-وهذه امرأة حاوَلتْ أكثر من مرة أن تُنقص وَزنَها وتسير على برنامج غذائي ورياضي في المنزل = **واستمرّت شهرا ثم تركتْ فكرة إنقاص الوزن لكونها لم ترى أثرا واضحا.**

-وآخرُ قدَّم على وظيفةٍ يستحقُّها أكثر من مرةٍ فلم يُقبَل = **فقرّر أن يترك التقديم ويشتغل أي شغلانة تانية.**

-وهذا حاوَل أن يُقدّم على تأشيرة سفر لمكان يحتاجه فرُفِضتْ = **فقرَّر ترك أمر السفر.**

حالاتٌ كثيرةٌ يُفرِّط الإنسانُ في هدفٍ يُريده ويعرفُ قيمتَه لمجرّد أنه أخفق مرةً أو مرتين أو ثلاثة.

بكلمةٍ مختصرة:

تلك المحاولات التي كنتَ تبذلها في طريق هدفك = هي النجاحُ نفسُه.

والفشل ليس له إلا معنى واحد: **التوقُّف عن المحاولة.**

فما دُمتَ تحاول فأنت ناجح.

ولكن عليك دَوما أن تبحث عن أقوى الأسباب وتسعى لتحصيلها وأن تبحث عن أسباب إخفاقك السابق لكن لا تتوقَّف أبدا. واستعن بالله وأكثر من دعائه، فإن الحياةَ بدون أهدافٍ وسعْيٍ لا معنى لها.

(١٢) عدم تصوّر الهدف لم يتصور خارطة العلوم ولا حتى خارطة المادة التي يريد التميز فيما يظن أنه متخصص فيه.

عدم تصور العلم ولا نشأته ولا أبوابه ولا أهدافه ولا مراحل طلبه ولا المصنفات الرئيسة وأعلامه وغير ذلك = هذا سبب رئيس للتخبط وضعف فرصة النبوغ وضياع الوقت.

والصواب العمل على مقدمات الهدف التي تجعلك تعمل على بصيرة به وبوسائله.

كيف أعرف ذلك؟؟

- ✓ عن طريق المتخصصين وإرشاداتهم.
- ✓ وعن طريق الكتب المصنفة في المجال الذي تطلبه
- ✓ وعن طريق قراءة الكتب المركزية وانتزاع المسائل منها.

مثال مادة الإيمان مثلا: نشأة العلم، الأهداف – الموضوعات–الأبواب والمسائل تحت الأبواب–المصنفات المركزية.

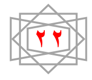
(١٣) ضعف التكوين مع العجلة في الدعوة والتدريس والتأليف والإفتاء والمناظرات وصرف أغلب الوقت لها مع التوقف عن تطوير النفس.

وممن يتحمّل جزءا كبيرا من ذلك معاهد إعداد الدُّعاة:

فأحدُ أعظمِ الأخطاء المركزية في معاهد ودورات إعداد الدُّعاة التي رأيتها التي تفرّع عنها جملةٌ من الأخطاء:

- ✓ فكرةُ الفصل والتمييز {المبالَغ فيه} بين معنى (الداعية) وتكوينه، ومعنى (طالب العلم) وتكوينه، بأن الداعي ليس طالبَ علم فبالتالي لا يحتاج تأهيلا قويّا ولا تأصيلا، ولا دقةً في المعلومة، ولا علومَ الآلة مثل: أصولِ الفقه، وعلومِ الحديث وأصولِ التفسير وغيرِها.
- ✓ وحتى ما يدرسونه من العقيدة والفقه والسيرة واللغة وغيرها سطحي جدا لا ينشغلون فيه بتحقيق أو تفصيل، ولا بمعرفة صور المسائل ولا أسبابِ الخلافِ ولا الأقوالِ ولا أدلتِها وأصولِها ووجهِ الاستدلال منها ونحو ذلك.
- ✓ لا ينشغلون في إعدادهم إلا بأسلوب الدعوة، وطرق التأثير، وجذب الانتباه. ونحو ذلك.

***أمّا مضمونُ ما سيدعون الناسَ إليه فهذا لا يعتنون به حق العناية، بل ولا يكادون يهتمون به أصلا!**



ونفسُ: مراحل الدراسة، ومنهج التدريس أقصد: منهجَ (التحفيظ والتلقين ثم التسميع)، والكتبِ المختارةِ، واختيارِ المدرسين، ومعيار التقييم =كلُّ ذلك لا يُعتنى به حقَ العناية- فضلا عن إهمال جانب العلوم الإنسانيّة والفكرية وفروعها تماما.

* **وكذلك (وبناءً على ما تقدّم من ظنّهم أنه غير محتاج لزيادة علم أو تأهيل، وأنّ ما تلقّاه عندهم فيه الكفاية):**

فكثير منهم بعد أن يبدأ بالدعوة والخطابة لا يستمر في طلب العلم، ولا يُطوّر نفسه، يعيش على نُتفٍ يلتقطها من هنا وهناك: (بيت شعر، وجُملة فصيحة، خُطبة جمعة يأخذها كما هي ويقدّم فيها ويُؤخر، حتى يُخفي تقليده)

وبعضُهم: يكلم الناس منذ سنين في ثلاثةِ أو أربعةِ موضوعات بنفس الشواهد والأمثلة

ليس لأنّ الناس محتاجة إليه، فالناس ملّت منه، ولكنّ لأنه يُكسّل أن يُحضّر غيره

وكثير منهم: يستنكف أن يحضر دروسا ليتعلم ويُكمّل نقصه العلمي أو المهارى.

- هذا على فرض صحة طَرحه ومعلوماته، فكثير منهم ينقل منكرات وبدعا ويستدل بأحاديث باطلة مع وجود ما يغني عنها من الصحيح المشهور.

- ولا يعتني بتحقيق ما يقول، ولا التثبت من صحة الأدلة، ولا يكلّف نفسه أن يراجع ولو تفسيرا أو شرحا لما يقول

* لا يشغله إلا: كيف أجذب الانتباه، وسأرفع صوتي هنا، وأخفضه هنا، وأنظر يمينا وشمالا.

- ويا ليت مَن أُعدّ مثل هذا الإعداد يقنعُ من الدعوة بما يناسب تحصيله ويكتفي به ولا يتجاوزه ، فكثيرٌ منهم يُصدّر نفسه على أنه:

مُتخصّص في الفقه، وعلوم القرآن العقيدة الفرق والمذاهب، والسياسة والاقتصاد ، والإعجاز العلمي، ومتخصّص ردّ الشُّبهات، ومجادلة أهل البدع والمِلل... (**بِتاع كُلّو**).

وطبعا مفتي، وبعضهم قاضٍ شرعي كلمتُه مسموعة مطاعة في قومه، ولا يترك خبرا إلا ويعلق ويحكم بل ويقطعوا يرسم خُططا استراتيجية للخروج من الأزمات (التي لم ولن يمكن أن يُحسن تصوّرها بمثل إعداده وإمكاناته الضعيفة، ومُطالعته -فضلا أن يضع لها حلولا)

وبعضُهم: يبغي ويستعلي بعدد الحضور عنده في الجُمعات والدروس العامّة، ويعيش وهْمًا كبيرا بهذا ويجعله معيارَ علمه وفضله!

هذه المعاهد التي تُفكّر بهذه الطريقة السطحية، والتفريق والفصل (المبالَغ فيه) في إعداد الدّعاة بين طالب العلم والداعية ويُسرعون في تخريج دُفعات من الدعاة بحُجّة العمل على الأرض = هم يزرعون شَوكًا وألغامًا على الأرض

ومن المعوقات التي تأكل العمر وتضيع الجهد وتفسد القلب:

(١٤) الجدل (تضييع قليل ما عندك بكثرة الجدل أو الدخول في مناظرات أو الدخول فيما لا تحسن)

وهنا أضرب مثلا واحدا فيما يخص باب الشبهات:

(عندي زميل في العمل عنده شبهات كثيرة حول السُّنّة، عايز أعرف أناقشه وأعرَّفه الصح)

(صديقتي منبهرة جدا بعدنان إبراهيم ومقتنعة بكلامه عن الصحابة وغيرهم، عايزة أعرف أرُد عليها)

(فيه واد ملحد على اليوتيوب ينشر شبهات جامدة عن البخاري، عايز أعمل فيديو أفحمه.)

بخصوص [أصحابك وأقاربك الذين عندهم شبهات أو إشكالات، أو ما ينشره لُقطاء الفِكر من شبهات] وواجبِك نحوهم.

هذه ظاهرةٌ مُكررة كثيرا، فأُحاول أن أُجمل فيها القول بتوفيق الله تعالى:

فيريد الطالبُ الرد على هؤلاء وهو لا يُحسن.

النصيحةُ لهؤلاء المُحبّين غير المُؤهَّلين ببساطة واختصار:

أنتم لستُم مُكلّفين أساسا بالرد ولا المناقشة ولا بيان الحق بل أنتم منهيُّون عن ذلك؛ لأنكم غير مُستطيعين لذلك ولا يُكلِّف اللهُ نفسا إلا وسعها [وعلى فرْض علمي بالأجوبة الشافية الدّامغة لكل هذه الشبهات] فمُجرد إرسالي أو غيري لكم بالأجوبة تلك = ليس كافيا في جعلكم مؤهّلين ولا مُستطيعين: لا لبيان الحق ولا الاستدلال له ولا كشف الشبهة ولا ردّها ولا إقناع صاحبها.

* **فأنت تريد أن تتجاوز كلَّ ذلك لتقفز إلى ميدان: المسألة الجزئية والإشكال المُعيّن والشبهة الخاصّة:**

✓ وأنت بعدُ لم تدرس المادّة التي يندرج تحتها البابُ الذي تتفرّع عنه المسألةُ والإشكالُ والشبهةُ.

✓ ولا أنت كذلك درستَ شيئا أو تدرّبت على النظر والتصور والجمع والاستدلال والمناقشة والمناظرة. ولا شيء من ذلك!

- **وفي ذلك قال الإمام ابن تيمية رحمه الله:** «لابد أن يكون مع الإنسان أصولٌ كلية تُرَدُّ إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات: كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيات، وجهلٍ وظلمٍ في الكليات؛ فيتولد فساد عظيم».
- **وقال:** «إنَّ معرفةَ أصول الأشياء ومبادئها، ومعرفة الدِّين وأصلِّه، وأصلِ ما تولّد فيه = من أعظم العلوم نفعا إذ المرءُ لم يُحط علما بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقى في قلبه حَسَكَة».

- **وقال:** «فإن معرفة المرض، وسببه، يعين على مداوته وعلاجه، ومن لم يعرف أسباب المقالات –وإن كانت باطلة– لم يتمكّن من مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم».

**

فأنت أخي الكريم –وفقك الله–تسيرُ في طريق خطأ وتُضيّعُ جهدك ووقتك ووقتَ من تثق بهم من طلبة العلم بمثل ذلك.

لأنك –ببساطة–لو تقحّمتَ تلك الأبواب غيرَ مُؤهّلٍ فإنّك جزءٌ من المُشكلة ولستَ جزءا من الحَل، بل رُبّما تكونُ الجزءَ الأشدّ ضررا! نعم واللهِ.

✓ فإنك تلِج في باب القول على الله بلا علم، وقفو ما لا علم لك به، والدعوة على غير بصيرة.

✓ وتلك الأجوبة المشوّهة الهزيلة التي تقوم بها تجمعها من جُوجل أو من غيره لعلّها تزيدُ الضالَّ ممن تناقشهم ثباتًا على ضلاله وثقةً به.

✓ بل إنّك إذ رمَيتَ نفسَك في بحر الشبهات والإشكالات والجزئيات والمقالات والفِرق دُون أن يكون لديك الحصانةُ (من حيث المعلومات والمهارات) التي تواجهها به = فقد أهلكت نفسك وفتحت عليها أبوابًا من الفتن كنتَ في غنى عنها

✓ فما أنت إلا (كجاهلٍ بالسباحةِ أشفقَ على غريقٍ فرمى بنفسه في بحرِه ليُنقذه = فهلكا جميعا)

✓ فلا أنت نجوتَ بنفسك ولا نجّتَه!

يقولُ ابن تيمية عن ضعفاء العلم والمتلبّسين ببدعة الذين يتصدّون لمناظرة أعداء الإسلام (بغير هُدى من الوحي وأثرهم: «فالمتكلمون الذين ابتدعوه وزعموا أنهم به نصروا الإسلام وردّوا به على أعدائه كالفلاسفة =لا للإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا، بل كان ما ابتدعوه: مما أفسدوا به حقيقة الإسلام على من اتبعهم فأفسدوا عقله ودينه، واعتدوا به على من نازعهم من المسلمين، وفتحوا لعدو الإسلام باباً إلى مقصوده».

سيأتي تفصيل ذلك أكثر عند الحديث عن المهارات والمقدمات التي يحتاجها الباحث إن شاء الله.

(١٥) التقوقُع حول مجموعة مسائل وبذل الجهد والوقت لها والعَيش عليها والغلو فيها من حيث الوقت وما يترتب عليها.

كمن يتقوقع حول ثلاث أو أربع مسائل يقضي فيها عمره ودعوته ويصنف الناس بناء عليها كمسألة العذر بالجهل أو الخروج على الحاكم أو الصفات أو الولاء والبراء، ويحبس نفسه عليها.

لطلاب العلم والدعاة الذين يعيشون –ويُعيّشون الناس–حول مجموعة مسائل جزئية وفرعيّة يقضون عمرا طويلا عليها، ويُهملون أخصّ ما يحتاجه الناس من مُحكمات الشريعة وما بُني عليه الإسلام.

أقول:

لقد جاء في الوحي تعظيمُ بعض أحكام الشريعة في الأمر والنهي، وتقديمُها على غيرها:

فذُكرت الكبائرُ وأعظمُها الشرك، ثم العقوقُ وقولُ الزور وقذف المحصنات، والزنا. إلى آخره،

وذُكرت الصالحات، وأعظمُها الإيمان (بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر واليوم الآخر)

والعملُ الصالح وأعظمه ما بُني عليه الإسلامُ (الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج) = **لم تُذكر تلك الأعمالُ مُعظمة في الشريعة = إلا لتكون مُعظمةً في نفوس المؤمنين، وفي خطاب الدعاة.**

والداعية المتبعُ الموفق المتبع للوحي= من تكون دعوته تبعا للوحي =فما عظمه =يُعظمه، وما أكثرَ من الحديث عنه=يكثر الحديث عنه، **فهو متبع للوحي.**

أقول ذلك:

في وقتٍ شَغلَ كثيرُ من الدعاة والعلماء أنفسَهم والناسَ (في الخطب والدروس) بمسائل وعظّموها وشددوا فيها بل وأعطوها من الوقت ما لا تستحق، وجعلوها محنةً يُوالون ويُعادون عليها، وأهملوا في طلبهم وعملهم ودعوتهم كثيرا من مباني ومحكمات الدين والشريعة التي كانت أولَى بالبحث والعلم والدعوة والنشر.

ويبقى سامعوه وجُلساؤه منهمكين مشغولين متخاصمين موالين ومعادين على جزئيات يسيرة سائغة، وهم جُهالٌ بفرائضَ ومباني الإسلام والإيمان، وشغلوا العامة بنزاعات وخلافاتٍ لا منفعة لهم بالانشغال بها.

إن أعظم دور يقوم به الداعي = أن يتبع الوحي في علمه وعمله ودعوته، ينطلق منه، ويصدر عنه ويَزنُ به.

كثير من المسائل أُريدَ لها أن تحتل مساحةً من البحث والتعليم والدعوة والخصام والخلاف = لمصالح سياسية أو استراتيجية، وللأسف انجرف في تيارها كثير من الدعاة وشُغلوا بها وشَغلوا، بل أُنشِأت لها المعاهد وأُنفِق عليها الأموال الطائلة.

الشاهدُ من كل هذا: قَدِّر المسائل بقدرها من الشريعة =لتأخذ ما يناسبها من البحث والتعليم والدعوة وما يترتب على الخلاف فيها.

(١٦) تضييع الكفاءات وضعف الإفادة منها.

كيف تستفيد أكبر فائدة من الكفاءات المتنوّعة والأدوات المُتوفرة مِن حولك؟

سأذكر لك أمثلة تتضح بها الفكرة إن شاء الله:

- ✓ أرأيت من يعرف شيخًا مُتقنا في التجويد، فطلب منه أن يختم عليه ختمةً يضبط فيها القراءة، فأعطاه الشيخ نصف ساعة يوميًّا = فذهبَ إلى شيخه غيرَ متقن للحفظ فقضى معه الشيخ النصف ساعةٍ يرُدُّه في حفظه، ولم يتبق وقتٌ لضبط التلاوة؟

  هل تحققت الفائدة من هذه الكفاءة إذ أهدر وقته معه في غير محلّه؟

- ✓ أرأيتَ من يعرف شيخًا من أهل العلم متمكّنًا، وقد أعطاه ذاك الشيخ وقتا للمدارسة = فراحَ ذلك الشخص يسأل عن أشياء سهلةٍ جدا أو أسئلة يمكنه أن يعرف إجاباتها ببحثٍ يسير جدا، وضاع الوقت في مثل ذلك؟

  هل تحققت الفائدة المرجوّة من ذاك الشيخ المتمكّن ؟!!

- ✓ شخص اشترك في (جيم/ صالة أثقال) مليء بالأجهزة الحديثة لمدة ساعة يوميّا = فقضاها يتدرّب (جري في المكان، وضغط وبطن، وإطالة) !؟

وهكذا كلّ الكفاءات مِن حولك التي يُيسّر لك التواصل معهم:

ادّخرْ وقته معك في أخصّ ما تحتاجه فيه، وأخصّ ما عنده، لا تُهدره فيما يُمكنك أن تُحصّله دُونَه! ..

ومنه: الأنفة من الانتفاع من الزملاء والأقران والمتميزين

طلبُ النصيحة وحُبُّ النّاصحين:

أنْ يمنّ اللهُ عليك بنفسٍ تطلبُ النصيحة وتفرحُ بها وتُحبُّ الناصحين، لا تستنكف أن تُنصِت وتتعلم من غيرها وتُفيدُ منه

بل تطلبُ ذلك ولا تستحي أن تُعلنه = فهذه نعمة تستحق الشكر

وكَم تَحجبُ الأنفةُ خيراً كثيرا عن صاحبها ...وتقعُدُ به عن طلب الخير ...وهل أهلك مُخالفي الرسلِ إلّا ذلك !!

وكَم انتفع وربحَ من يطلبُ الخير والنصيحة.

* ومهما بلغ الشخصُ من علم و معرفة و هُدى فما ينقصه = أضعاف أضعاف أضعاف ما عنده فكيف وكُلّنا –ولا أستثني– ضعفاء جدا جدا من حيث العلم و العمل، يحتاج لمعينٍ و معلم ، وناصح.

اطلبِ الخير والنفع ولا تستنكف، فالناصحُ والمعلم والمرشد = كنزٌ.

التخصص والتكامل وطلب الانتفاع بين أصحاب المواهب:

- قال الحُميدي –وهو تلميذ للشافعي–: «صحبتُ الشافعيَ من مكة إلى مصر فكنتُ أستفيد منه المسائل، وكان يستفيد مني الحديث».
- وقال أحمد بن حنبل –وهو تلميذ الشافعي –: «قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا صح عندكم الحديث فقولوا لنا حتى نأخذ به».
- قال إسحاق بن راهويه: «ذاكرتُ الشافعيَ، فقال: لو كنتُ أحفظ كما تحفظ لغلبت أهل الدنيا».

علّق البيهقي:

«وهذا لأن إسحاق الحنظلي (ابن راهويه) كان يحفظه على رسم أهل الحديث، ويَسرد أبوابه سرداً وكان لا يهتدي إلى ما كان يهتدي إليه الشافعي من الاستنباط والفقه، وكان الشافعي يحفظُ من الحديث ما كان يحتاج إليه، وكان لا يستنكف من الرجوع إلى أهله فيما اشتبَه عليه، وذلك لشدة اتقائهِ لله عز وجل، وخشيته منه، واحتياطه لدينه».

- وحدّث شُعبةُ بحديث فقال «فتسمعون جرْش طير الجنة» وكان الأصمعيُّ في المجلس فقال له: ((جرْس))

فنظر إليه شعبة وقال: «خُذوها عنه، فإنّه أعلمُ بهذا منّا».

- وسُئل أحمد عن معنى كلمة من غريب الحديث، فقال: «سلُوا أهل الغريب، فإني أكره أن أتكلّم في حديث رسول الله ﷺ بالظنّ فأخطئ».

(١٧) من التخصص إلى التفنن إلى ولا حاجة.

قصةُ عشرات، بل مئات من طُلاب العلم أعرفهم، ولا زالت تتكرر بنفس الصورة:

أحدُ أهم ما يصرف طالب العلم عن خُطته الدراسية التأصيلية الكبيرة في دراسة العلوم الشرعية من أبوابها ليُحصّل ثمارها: أنه لما أطلق لحيته وشرع في حفظ القرآن، وصار يطلبُ العلم = ظنَّ أهلُه وجيرانُه وعائلته وأصدقاؤه أنه صار شيخا ومُفتيا، وهو المرجعُ لهم في كل ما يطرأ عليهم من الأسئلة الخاصة بالدين في التفسير والفقه والحديث وتفسير الأحلام وكل النوازل السياسية والفقهية والإقليمية والدولية... **ليست هذه المشكلة الأكبر**.

إنما المشكلة الأكبر: أن الأخ بالفعل صدَّق ذلك وصار يحملُ على عاتقه مسؤولية تقديم البحث عن الإجابات (الشافية) لكل ما يُطرح من أسئلة واستفسارات في العائلة والحي والشارع والمجتمع الذي يعيش فيه، ويستحي أن يقول في أي سؤال أو نازلة -مهما كان صعبا أو مشكلا أو معقدا-: لا أعلم، أو سأسألُ غيري!

وماذا بعد؟

فلأجل أن يسدّ حاجاتهم المتنوعة و(التي لن تنسد ولن تنتهي) فهو مضطر للتحول عن خُطته التأصيلية التأسيسية لتحصيل العلوم الشرعية بطريقة سليمة ومجدية، لماذا؟

- ✓ -لأن تلك الطريقة تأخذ وقتا طويلا حتى يقطف ثمرتها.
- ✓ -ولأنها تجعله يتعمق ويبذل جهدا لتحصيل علوم ومسائل لا يحتاجها عامة من حولَه، إلا قليلا أو نادرا كعلوم الآلة كاللغة ومصطلح الحديث وأصول الفقه والمنطق ونحوها.
- ✓ -وأحيانًا -لأنها لن تُحقق له شُهرة من حيث أنها ليست مطلوبة، فسيبقى عندهم لا فائدة منه =فهو يطلبُ العلم، ولكن في كل ما يُسألُ عنه يقول: مش عارف، لسة مخدتوش!

*وربّما يكون يتقاضى نفقة لطلب العلم فهو يقول في نفسه (ويقول من يكفُله: ما فائدة طلب العلم، وبأي حق آخذ النفقة وأنا لا أُغطي حاجات الناس في الأسئلة الشرعية...

والعمل: (التفنُّن) يعني: أحاول أن أدرس ما يحتاجه الناس وما يسألون عنه، وما يخص الواقع وأقرأ شوية تفسير، على شوية حديث على كام قاعدة فقهية، على كام مسألة نازلة، على بعض أحداث تاريخية، وجزء من السيرة، وكتاب مبسط في اللغة، على كتاب في البيوع والحج والمواريث والطلاق والحيض والطهارة...والعلمانية.

كل دا في السريع، وفي الإنجاز لأعرف ملخص الكلام. من الآخر في ظرف سنة أكون موسوعة.

والنتيجة: أشوف مسجد أمسكه وسأتكلم في كل شيء، وفي أي بحث وفي أي نازلة، وفي كل حدث، وفي كل فتوى لكن سأختمها بقولي: وفي المسألة خلاف... والله أعلم. وأكمّل حياتي كدا، وبذلك أكون أرضيت الله، وحلّلت فلوس النفقة، ونفعت جيراني ومن حولي والمجتمع والناس.

هذه قصة مئات أعلمُهم ممن كانوا متميزين جدا في طلب العلم، لكن... استصعب واستطال الطريق، ولم يفقه وظيفته المنوطة به وأثرها،

وتعجل قطف الثمرة... فانتهى–بالنسبة لما كان يرجو –إلى: (**ولا حاجة**)

وانتهى إلى صورة مُكررة (بل أقل) من نموذج من الدعاة، وكان هو أصلا ينقم عليهم نفس ما وقع فيه، وهو يضحك على نفسه ويظنُّ نفسه مختلفاً!

مع أنّه كان لديه مواهب وعَزم حسنٌ لكنّه سارَ مع التيّار واستجاب لضغط الواقع، وهذا مصيرُ كلّ من لم يفقه طبيعة عمله ومراحله وآثاره وضريبته = يبقى هكذا يُغيّر نفسه ويتشكّل بحسب الضغوط والتيارات من حوله ويسير معها في دوّامة، ثم ينقضي أغلى شيء عنده(عُمُرُه) دون أن يُحقق ما كان يعيش له، ليُصبّح في النهاية مُجرّد(**مُوظَّف**)!

ومن معوقات النبوغ:

(١٨) تضييع العمر الكثير والجهد الكبير والمُحصّلةُ لا تستحق.

يتقوقع حول مجموعة متون ومختصرات يعيش لها وينتقل فيها من حاشية لحاشية ومن شرح إلى شرح.

أحد أشهر أنواع تضييع الوقت أثناء طلب لعلم.

فإذا قضى طالب العلم عاماً أو عامين أو أكثر من حياته في دراسة مثل هذه الكتب (الأصول الثلاثة، التوحيد، كشف الشبهات، القواعد الأربع، لمعة الاعتقاد.) ونحوها، يدرس كل لفظة، بإعرابها ومعانيها، وإشكالاتها والشروح المتنوعة.إلخ

= فهو بين نوعين من الغلط في صُلب خُطته العلمية التحصيلية:

- ✓ **الأول:** إنفاق وقت كبير فيما حقُّه أن يكون في أسبوع أو شهر على الأكثر.
- ✓ **الثاني:** كثير من هؤلاء–بعد مدته هذه–يظنُ أنه أنهى العقيدة، أو صار متخصصا فيها !!! وذلك الوهمُ الكبير سينكشف بمجرد أن يُطالع مثل كتب ابن تيمية وغيره من المحققين، أو أن يدرك كم النقص الذي هو عليه سواء من حيث العلوم المهمة التي يجهلها، أو حتى في العلوم التي درسها، بل في نفس المسائل التي درسها من تلك المختصرات!!

وسيعرف غلطه من جهتين:

- ✓ أن نفس ما اطلع عليه –مع كثرة شروحه–فليس مُحققا في بابه.
- ✓ أن العلم الشرعي، والفنون التي يحتاجها طالب العلم أعمُّ وأكثر من هذا الذي حصر عمره له.

فكتب المختصرات مثل ما ذكرتُه هي في الأصل وفي مقصود مصنفيها هي مجرد(تذكرة) لذلك لم يعتنوا بذكر تحرير محل البحث، ولا الأدلة (إلا اختصار) ولا وجه الاستدلال. ولا الأقوال المخالفة بأدلتها وأصولها، والرد عليها.... وهكذا لكن حوّلها كثيرٌ من المشايخ إلى (عُمدة الباب، أصل الباب، ومرجعه...)

ثم راحوا يشرحون كل لفظة، بكل احتمالاتها وإشكالاتها، وفروعها، وأدلتها، بل وأوجه إعرابها...!!!

وأنفقوا أعمارهم وأعمار طلابهم في مثل ذلك، وصار للكتاب عشرات الشروح والحواشي والتعليقات!

يدرس في المرحلة الأولى الكتابَ، وفي الثانية: شرحا مختصراً عليه، وفي الثالثة: شرحاً مطوّلاً، وفي الرابعة: شبهات وردود!!!

حتى تمضي خمسُ سنواتٍ على الطالب وهو يدور في فلك (وحي ذلك المؤلف) الذي يبذل الشّراحُ لفهم كلامه ثم تفسيره ثم شرحه والجواب عن إشكالاته = ما لم يبذلوا جزءاً منه لفقه القرآن والحديث!

ثم ما تلبث نتائج ذلك المؤلَّف أن تصبح محنةً يُوالى ويعادى عليها!!

مثل تلك الكتب المختصرة غايتها أن تُقرأ وتُفكُّ عبارتها. وانتهى الأمر. لا أن تُقحم فيها ما لم يقصده المؤلف نفسه، ثم تتكلف شرحه، ثم تتكلف ذكر ما يعارضه، ثم كشف شبهاته. وهكذا...

ولايزال -بعد كل هذه الشروح -هناك من يتكلف كتابة شروح وحواش (بالتأكيد لا أقصد التنبيهات والتعليقات المهمة الموجزة) فلابد للطالب من العلم بما يحتاجه من العلوم وأبوابها ومسائلها مؤلفاتها ومراجعها وغير ذلك، مما يدرك معه أن الفترة التي أضاعها في مثل تلك المختصرات كانت في غير محلّها.

(١٩) الدخول في الجزئيات والتفاصيل والشبهات دون إحكام القواعد والمحكمات والأصول.

من خلال مُدارستي مع كثير من المجموعات علمَ العقيدة:

كنتُ أجدُ بعضَ الشباب المتعجّل للدخول في التفاصيل والتطرُّق للجزئيات قبل وقتها، المولعِ بإيراد الإشكالات والشبهات حتى دون أدنى داعٍ، ودُون أن يتصور أو يُحْكم أصلَ ما يُقال أو حتى يفهمه جيدا أو يعرف أدلته ووجهَها! كأن تراه – مثلا –في بداية مُدارستنا لمسائل الإيمان، والصفات، وإخلاص العبادة، والقَدَر، والنّبوّات وبيان قواعدها الإجماليّة، ومُحكماتها الكُليّة، وأهم مسائلها: يتعرض للمسائل الجزئية الفرعيّة التي لا ذكر لها في هذا المقام ولا تناسبه كمسألة الإعذار بالجهل، أو الحكم بغير ما أنزل الله أو الخروج على الحاكم، أو عصمة الأنبياء أو نحوها ويريدُ تفصيلها

دُون أن يتعرف على:

- ✓ القواعد والمحكمات في تلك الأبواب، ولا الأدلة عليها ووجهها.
- ✓ ولا تَعرّفَ على المسائل الكبرى فيها.

أو تراه:

- ✓ يذكر شبهاتٍ لا تُناسب الكتاب، ولا تناسب مستواه كمبتدي، ولا موضوع الدرس والهدف منه.
- ✓ مشغولٌ دائما ب: كيف نَقنع غير السُّني، أو العلماني أو الملحد أو غيره.
- ✓ مُغرم بالمناظرات والردود.
- ✓ يتفنّن في اختراع شبهات رُبما لا أعلم في حياتي من أثاراها، أو فكّر فيها.

ومع هذا:

فهو لا يعتني بضبط الأبواب ولا القواعد ولا المحكمات، ويقول: أريد أن أتخصص في ردّ الشبهات!

هكذا كأنّه يمكنه أن يبدأ بذلك ويتخطّى التأصيل العلمي

قلتُ:

والله لم أر واحدا من هؤلاء أفلحَ في دراسته، **بل:** يعيش في اضطراب وقلق وشبهاتٍ هو مَن أدخل نفسه فيها دون أدنى داعٍ، **فلا هو** مُتعلمٌ مستيقنٌ مُطمئن، **ولا هو** (من باب أولى) يستطيع أن يُقرّر حقّا، أو يُفصّل باطلا ويكشف زيفه! **ووالله كثير منهم ترك طلب العلم من أساسه!**

ووُجود هؤلاء قد أفسدَ كثيرا من الدورات العلمية حيث يَخرجُ المعلِّمَ عن موضوع الدرس وهدفه فيتحوّل الدرس إلى فتاوى مبتورة، أو جدالٍ ناقص لا يزيدُ الأمور إلا التباسًا، ويجني على موضوع الدورة الأساس!

ولا يتحمّل ذلك هؤلاء وحدهم. **بل يتحمّله** كذلك المعلّمُ قليلُ الوعْي حيث لا يعِي دوره كمعلّم مُديرٍ للدرس يفهم طبيعة عمله وموضوع درسه وأهدافه فلا يحيدُ عنها إلا لما هو في صالحها.

أخي الكريم:

- ✓ اعتن بنفسك، واطلب الهدى لها من وجهه أوَّلًا قبل أن تفكّر في تفاصيل وجزئيات، أو دفع إشكالات، أو رَد شبهات أو إقناع مخالف.
- ✓ -واطلب المحكمات والقواعد واعرفْ حُجَجَها، وكبار المسائل وصورتها واطلب الحق فيها بأدلته ووجه الاستدلال منها، ثم ما أشكل عليها ورَدِّه، ثم استقِم عليه
- ✓ -ثم اطلب علم الاستدلال والتقرير، وطرائق النقد والمناظرة
- ✓ -ثم فكّر بعد ذلك في أن تُقنع غيرك، وادخل البيوت من أبوابها

وقريبٌ من ذلك قول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «لابد أن يكون مع الإنسان أصولٌ كليةٌ تُرَدُّ إليها الجزئياتُ، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات: كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيات، وجهلٍ وظلمٍ في الكليات؛ فيتولد فساد عظيم».

وقال: «إنَّ معرفةَ أصول الأشياء ومبادئها، ومعرفة الدِّين وأصلِّه، وأصلِ ما تولّد فيه = من أعظم العلوم نفعا إذ المرءُ ما لم يُحط علما بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقى في قلبه حَسَكة».

(٢٠) عدم التمييز.

لا يميز بين الشيخ الطيب الذي حببه في الاستقامة ويعطيه وعظا وخلقا أو تحفيزا وتشجيعا ونحو ذلك **وبين** المتخصص الذي يؤخذ عنه العلم والتأصيل فيما يطلب من العلوم.

(٢١) ضعف تصور المهارات المحتاج إليها وبالتالي عدم السعي في تكميلها.

طالبُ العلم والمهارات والملكات (أدواتُ الطلب) عناصر اللياقة البحثيّة مع تطبيقات

- ✓ مهارة القراءة (تدريب عملي)
- ✓ مهارة الفهم والاستيعاب
- ✓ مهارة التذكُّر والحفظ
- ✓ مهارة التفكيك وتحليل المقروء وتقسيمه (تدريب عملي)
- ✓ مهارة البحث ودراسة المسائل (تدريب عملي)
- ✓ مهارة الاستدلال والعرض والتقرير
- ✓ مهارة النقد والاختبار والفحص
- ✓ مهارة الحوار والمناقشة والمناظرة
- ✓ مهارة التواصل والتعليم والدعوة
- ✓ مهارة الكتابة والتصنيف

وقريب من ذلك يبين ابن تيمية: أن العلم بالحق شيء ثمّ إنّ الاستدلال لذلك الحقّ وبيانه هذا علمٌ آخر، ثم العلمُ بما يخالف ذلك الحق وحُججه وأصوله التي بُني عليها وبيانُ غلطها وغلط ما بُني عليها والاستدلال لذلك = هذا علمٌ آخر،

ثم الحوارُ والمناقشةُ والمناظرةُ تلك المهارات والملكات تحتاج تدريبا وصبرا = **وهي علمٌ كذلك**.

قال ابن تيمية: «وليس كلُّ من وجد العلمَ قَدَرَ على التعبير عنه والاحتجاج له؛ فالعلمُ شيءٌ، وبيانُه شيءٌ آخر، والمناظرةُ عنه وإقامةُ دليله شيءٌ ثالثُ، والجوابُ عن حجةِ مخالِفِه شيءٌ رابع».

(٢٢) يُعجب بشخص طالب علم أو باحث ويريد أن يكون نسخة منه.

✓ لا تكن نسخة من أحد ولكن خذ من كل نسخة مميزة أحسن ما عندها مما يناسبك ويناسب هدفك وقدراتك.

(٢٣) حبس النفس على شيخ أو طالب علم لا يسمع إلا منه.

الرشيد بين من تأخذ عنهم يزيد المهارات ويربي الملكة النقدية، ويفتحُ عينيك على أمور ومسائل جديدة

هذا تنتفع من خلقه ودينه وهذا من لغته **وهذا** من حكمته وعقله **وهذا** من أسلوبه **وهذا** من قوة إرادته، **هذا** متميز في علوم العربية، **وذاك** في علوم القرآن، وغيرهما في علوم الحديث، **وآخر** في مسائل الفكر وهكذا. وأدلة ذلك التنوع في تلقي الخير كثيرة.

✓ **وحبس النفس على شخص واحد يُفوّت كل ذلك الخير كما قد يؤدي للتعصب له، مع حفظ الجَميل لكل من أحسن إليك، والحكمة في التلقي، وتقديم الأنفع عند التزاحم مع محاولة الاستدراك = أحدُ الموازين المهمّة عند تزاحم الفوائد والمنافع، والموازنة بينها.**

روى ابنُ أبي حاتم **من طريق** محمد بن الفضل البزاز **قال: سمعت أبي يقول:** «حججتُ مع أحمد بن حنبل ونزلنا في مكان واحد فلما صليتُ الصبح دُرت المسجدَ فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة (أحد أئمة الحديث)، وكنتُ أدور مجلسا مجلسا طلبا لأحمد بن حنبل حتى وجدتُ أحمد عند شاب أعرابي وعلى رأسه جُمة فزاحمتُه حتى قعدت عند أحمد بن حنبل فقلت: يا أبا عبد الله تركتَ ابن عيينة[و] عنده الزهري، وعمرو بن دينار، وزياد بن علاقة، والتابعون ما الله به عليم؟ {يقصد أن سفيان ابن عُيينة عنده أحاديث هؤلاء الأئمة، وإسناده عالٍ فكيف تتركه، وتُفوِّتُ تلك الفُرصة)؟! **فقال لي:** اسكت، فإن فاتك حديثٌ بعُلو= تجده بنزول، ولا يضرك في دينك، ولا في عقلك، وإن فاتك عقلُ هذا الفتى= أخاف ألا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله عز وجل من هذا الفتى القرشي، قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي». الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

(٢٤) الانتقال من سطحية لسطحية
«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا فَلْيُدَقِّقْ فِيهِ لِئَلا يُضَيِّعَ دَقِيقَ الْعِلْمِ»

رسائل كثيرة من شباب من بُلدان عربيّة وأوروبيّة قضَوا عمرا طويلا في المطالعة والدراسة، بعضُهم قضى مُتفرّغا للطلب ١٥ سنة كلُّهم يشتكون نفس الشكوى: (نقضي وقتا طويلا في مذاكرة الكتاب أو المادّة ومع ذلك لا تثبت المعلومات لا نشعر أننا استوعبنا المادة، لا نظنّ أننا يمكننا حتى استحضار أبواب المادة، ولا مسائلها ولا فروعها فضلا عن حُسن عرضها وتدريسها وتفصيلها !!!

<u>**ببساطة:**</u> لم نستطع حتى الآن الانتقال من الهواية في طلب العلم إلى شيء من التخصُّص؟!!!

فهؤلاء بالتحديد هم المستهدفون من تلك الدورات.

عندهم قدر من المعرفة لكنهم مُشتتون ليسوا ضابطين للمسائل لم تكتمل مهاراتهم وأدوات النظر والبحث والتصور والاستدلال والنقد عندهم.

<u>**ولهؤلاء أنصحهم بنصيحة واحدة (في نقاط) تنطلقُ منها إن شاء الله:**</u>

* **من الطرق الخطأ في تحصيل العلوم أو قراءة الكتب:**

توزيع الوقت المخصص للطلب في أكثر من مادّة أو أكثر من كتاب في فنون مختلفة، فهذا أحد أخصّ أسباب التشتُّت وعدم استيعاب العلم فضلا عن ثبات المعلومات، -ما دُمتَ قد مررتَ على مقدمات العلوم وقرأت في كل علم كتابًا مختصرا أو كتابين، وصار عندك ثقافة عامّة = فإني أنصحك هذه النصيحة.

خلاصة هذه النصيحة:

- ✓ التركيز وحصر الجُهد والوقت المقطوع للطلب في باب واحد من العلم (على الأقلّ لمدة عام).
- ✓ -ولا تُشتت نفسك بين مجموعة علوم ومجموعة كتب في فنون مختلفة، تقرأ في كل كتاب نصف ساعة ثم تتركه وتدخل في كتاب آخر نصف ساعة وهكذا !! شويّة سيرة وتاريخ، على حبّة حديث على مسألة فقهيّة، على كتاب في الفكر... وهكذا !!!

والصحيح في رأيي:

اجتماع الهِمة والوقت في علم واحد (قراءة ومطالعة ودروس ومحاضرات ومناقشات وسماع ومرئيات) كلُه حول نفس العلم = فهذا خليقٌ أن يُثبّت العلم في قلبك إن شاء الله

فتُعطي كلّ علم مُدة تمشي فيه وحده لمدّة لا تقل عن سنة، ثم تنتقل لغيره وهكذا.

المقترَح من خلال النقاط التالية:

الاستعانة بالله وكثرة دعائه ورجائه، وقصد الخير، والعمل ونفع الناس

ومجاهدة النفس على نواياها الفاسدة كقصد: الفخر والتعالي والبغي بالعلم وغير ذلك...

✓ المقدمة الأولى:

***أنت تحتاج في كل علم تريد دراسته وإتقانه إلى أمورٍ أساسية:**

معرفة أبواب العلم (الأبواب الأساسية تحت العلم الذي تريد دراسته دراسة تفصيلية)

مثلا: {علوم الحديث فيها} أبوابها الأساسيّة:

(نشأة العلم، والدراسة النظرية/ مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلم علل الحديث، ومصادر تدوين الحديث، والتخريج ودراسة الأحاديث وتحقيقها، وفقه الحديث) = فهذه أبواب رئيسة تحت مادة علوم الحديث.

مثال آخر: أصول الفقه، تحتها أبواب رئيسة:

(نشأة العلم وتطوره وعلاقته بعلمي المنطق والكلام والمسائل المشتركة بينه وبين العلوم الأخرى كالعقيدة، والحكم الشرعي، والأدلة، والاستدلال والاستنباط، والاجتهاد والتقليد)، وهكذا تحتاج تعرف في كل علم: ما هي أبوابه الأساسية بشكلٍ عام.

***ثانيا، معرفة أهم المسائل المبحوثة تحت كل باب من تلك الأبواب الأساسية:**

مثلا: من أبواب العقيدة الأساسية: الإيمان والكفر

فأنت تحتاج أن تحصر أهم وأخص المسائل المبحوثة تحت هذا الباب، فستجد أنها:

(معنى الإيمان، علاقة العمل بالإيمان، زيادة الإيمان ونقصانه، العلاقة بين الإسلام والإيمان، مراتب الإيمان، شُعب الإيمان، الاستثناء في الإيمان، حُكم المسلم الذي ارتكب كبيرة دون الشرك ولم يتُب منها ومات عليها...) وغير ذلك من مسائل.

فأنت تحتاج أن تبقى عارفا بجُملة المسائل تحت كل باب

{أمّا خطوات دراسة وبحث تلك المسائل، وطريقة المذاكرة = فسأتكلم عنها في منشور مستقل إن شاء الله}

***تحتاج كذلك إلى معرفة:**

الفروع الكبيرة التي تُلحق بالعلم الذي تدرسه، والتي صارت كأنها علم مستقل

مثلا علم أصول الفقه تحته فروعٌ صارت كأنها علمٌ مستقل مثل:

(المنطق، فقه الخلاف، الفتوى، القواعد الفقهية، مقاصد الشريعة، النوازل) وغيرها.

فائدة معرفة أبواب العلم ومسائله وفروعه = مهمة جدا بحيث تعرف:

- ✓ ماذا يجب عليك دراسته؟
- ✓ ماذا حصّلتَ منه؟
- ✓ ماذا ينقصك من الأبواب والمسائل والفروع؟

ومن لم يعرف ذلك سيظنّ –مثلا–أنه لمجرد دراسته لكتاب التوحيد والواسطية –مع شرح أو شرحين –أنه أحكَم كل مسائل العقيدة، بل بعضهم ظنّ نفسه متخصصا فيها، وذلك الوهم وأشباهه سيتحطم عندما يقرأ فقط في: أبواب ومسائل وفروع العلم = فيعرف أنه إنما مشى في طريق العقيدة بعضَ خُطوة.

✓ **المقدّمة الثانية:**

سُبل تحصيل العلم وفهمه واستيعابه وإتقانه:

النصيحة الخاصّة هنا: ((كلما كثُرت وتنوّعت سُبل التحصيل لدراسة العلم الواحد = كانت ثمرتُها أعظم بكثير من الاكتفاء بأحدها))

من السُبل الأساسية:

- ✓ الدراسة مع الشيخ (طالب علم متخصص في العلم الذي تريد دراسته) فإن تيسّر ذلك فهو خيرٌ، يكون دَوره: المقدمات، ودراسة أهم الكتب من خلال: فك العبارة، وبيان المسائل وصورها والأقوال وفهمها وفهم حُججها ووجه الاستدلال منها، وبيان المشكل وزيادات تقلُّ وتكثر بحسب الحاجة.
- ✓ حضور الدورات والمحاضرات الخاصة بالعلم الذي تطلبه.
- ✓ **التعلُّم الذاتي من خلال:**

١ – المُطالعة الفرديّة: {**وسأتكلّم إن شاء الله لاحقا عن فن المطالعة وأنواعها**}

والفرق بين الكتب الرئيسة في العلم وبين الكتب الفرعية والأبحاث والدراسات المعاصرة.

٢– الدروس المرئية وسماع الأشرطة المتميّزة في ذلك العلم، وتقييد الشرح والفوائد:

فهذه الوسيلة مهمة جدا ونافعة وفيها تعويض نوعًا ما لمن لم يتيسّر له شيخ يدرس عليه حتى لو درس على شيخٍ تبقى الحاجة لسماع دروس المتخصصين والانتفاع منهم، معرفة طُرق شرحهم ولغة العلم وغير ذلك.

٣–مطالعة الأبحاث والدراسات الخاصّة بالعلم وتلخيص واختصار المُهمَّ المُحقَّق المُحرّر منها:

وهذا مهم أيضا جدا للتعرف على أهم مسائل العلم التي اعتنى الباحثون بها وخصُّوها بالبحث والدراسة، والتعرف على منهجية البحث وعلى النتائج التي وصلوا إليها {**مع ملاحظة: عدم القطع بغلط أو صواب ذلك، أنت الآن في مرحلة فهم واستيعاب، وستأتي الملكة النقديّة شيئا فشيئا إن شاء الله**}

٤–المُدارسة الجماعيّة:

اختيار صديق أو أكثر تتدارس معه العلم من خلال الكتب، والمسائل والأبحاث، وتحديد الكتب المهمة التي تستحق الاجتماع والدراسة تُحدد وقتا أسبوعيّا ومنهجية للمدارسة (**سأتكلم عنها أيضا لاحقا بتفصيل إن شاء الله، لتكون مثمرة نافعة**) فاختر صديقا صادقا جادّا خلوقا له نفسُ هدفك من ذلك العلم ((ولا يُشترط أن يكون أعلم منك به، بل يكفي: الإرادة والعزم والجديّة)) وربُّك الأكرم = وهذه الوسيلة من أعظم سبل التحصيل وتنمية المهارات وتثبيت المعلومة وتعلُّم النظر والاستدلال والعرض والحوار والنقد، وغير ذلك.

٥–البحث العلمي:

وهذه متقدّمة نوعا ما، ولا يمنع أن تصحبك منذ البداية كتدريب على الاجتهاد والبحث، وليس للنشر، تختارُ أهم المسائل تحت ذلك العلم وتخصُّها بالبحث والدراسة = **لتتعلم وتتعرّف على:**

- ✓ مصادر العلم ومراجعه.
- ✓ طريقة بحث المسائل.
- ✓ العلماء والأئمة المعتبرين في العلم.
- ✓ منهجهم في التقرير والاستدلال والعرض وردّ الإشكالات، ونقد المخالف. وهكذا.

وهذه الوسيلة مهمة جدا في تكوينك العلمي.

✓ **المقدمة الثالثة:**

التكوين العلمي أشمل وأوسع بكثير جدا من مجرّد معرفة المعلومة الصحيحة= فأنت تحتاج مجموعة مهارات في تخصُّصك:

- ✓ مهارة حُسن القراءة وتقسيم المقروء واستخلاص الفوائد.
- ✓ الفهم والاستيعاب.
- ✓ التحليل والتمييز، فتميّز بين القول والقائل وصورة المسألة الدليل ووجه الاستدلال، والإشكال وردّه، والنقد وهكذا، فقُدرتُك على تفنيد ما تقرأ وجعُل كل جزء منه في موضعه = من أخصّ صفات القراءة المثمرة.
- ✓ قدرتك على شرح وبيان وتفصيل ما تقرأ.
- ✓ قدرتُك على التطبيق (تطبيق نفس تلك القواعد على جُزئيات وفروع وأمثلة أخرى).
- ✓ مهارة الحفظ.
- ✓ مهارة العرض والاستدلال.
- ✓ مهارة الحوار.
- ✓ مهارة النقد، قُدرتك على الحكم على المقالات والاستدلالات والتقريرات، وبيان صوابها من غلطها وَزن المقدمات والنتائج.

✓ **المقدمة الرابعة:**

✓ معرفة مراحل طلب هذا العلم

✓ ومعرفة كتب العلم الجامعة ومراجعه الأساسيّة

✓ وأهم الكتب والأبحاث المحررة الخاصة بأبواب العلم

✓ معرفة الكتب التي يُدرّس من خلالها ذلك العلم

✓ معرفة الشروح المهمة

✓ معرفة المتميّزين في ذلك العلم والإفادة منهم

✓ تكرار مطالعة ومذاكرة الكتب الرئيسة في ذلك العلم

✓ **وأخيرا:**

أن تضع في نفسك أنك تريد التخصص فيها وإتقانها وتدريسها للناس = ذلك أدعى أن يفتح الله عليك خيرا، وأدنى أن تُركّز فيها وتتقنها إن شاء الله

وإعداد الكتب للتدريس والشرح.

التطوير المستمر للنفس والمراجعة والتقييم ومطالعة الجديد في العلم من الأبحاث والدارسات.

وفي ذلك قال المُفسِّر الكبير ابنُ عطيَّة – في مقدّمة تفسيره بعد أن ذكر أن العلم فنون، وأن على من تشوَّق للتحصيل أن يأخذ من كل علم بطرف– **قال:** «ثمَّ رأيتُ أن من الواجب على من احتبى، وتخيَّرَ من العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع: يستنفد فيه غاية الوسع يجوب آفاقه ويتتبع أعماقه ويضبط أصوله ويُحكم فصوله ويُلخص ما هو منه، أو يؤول إليه ويَفي بدفع الاعتراضات عليه = حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحِصن المشيد، والذخر العتيد، يستندون إليه في أقواله، ويحتذون على مثاله)).

(٢٥) الاعتماد على وسيلة واحدة في التحصيل.

وسائل التحصيل المتنوعة تثري طالب العلم:

وحبس النفس على إحداها يُفوت كثيرا من المهارات كمن طلب العلم فقط من خلال الكتب ولم يدرس على شيخ، أو لم تكن له صحبة يتدارس معهم أو اهتم بالحفظ دون الفهم أو أهمل استقراء تراث الأئمة وحبس نفسه على الأبحاث المعاصرة والمختصرات

وإذا قلت سبل التحصيل قلت المهارات، والعكس

((مصادر التكوين وسُبل التحصيل))

- **(مع المُعلم):**

الانتفاع من دروس الصف، والدورات، والمحاضرات.

- **التعلم الذاتي:**

✓ جدول الدروس المسموعة والمرئية

✓ جدول المطالعة والقراءة السريعة

✓ -جدول الدراسة المركّزة (التأصيل)

✓ -جدول الحفظ

✓ -جدول جرْد المطوّلات (كُتب السُّنن والآثار، والمجموعات العلميّة المطوّلة)

✓ -جدول تلخيص الكتب المهمة في بابها والأبحاث المحقَّقة في بابها

✓ -جدول المدارسة الجماعيّة -جدول تحضير الكتب للتدريس، وتحضير المحاضرات والخُطب

سُبُل تحصيل العلم، وكيفية الإفادة منها:

في كل سبيل توجيهات ليكون مُثمرًا

١-حضور (الدرس، المحاضرة، الدورة):

-قبل الدرس: (المطالعة والتحضير)

-وأثناءه: النيّة (طلبُ الهدى لك وللمعلّم / المتحدث، وقصد الانتفاع، واحذر التربُّص وإرادة التخطئة)

-حُسن الخلق والاحترام مع المعلّم والزملاء

-الانتباه والتركيز



-الإنصات والاستماع

-فهم طريقة المعلم، وطباعه

- الحِرص

-التّقييد:

فنُ التقييد: ماذا أُقيّد (طرقة شرح، سلوك، معلومة، وكيف، وأين)

-المشاركة: أنت جزء فعّال مُنتِج في الدرس

المشاركة من خلال:

١- سؤال (لماذا، كيف، متى)؟

تنبيه: تجنّبْ:

✓ الخروج أو إخراج المعلم عن مقصد الدرس، لا تتعجّل الاستشكال فربما كان المعلم سيجيب

✓ مُقاطعة المعلم أو الزملاء

٢- محاولة الإجابة على ما يطرحه المعلم (فهم السؤال، الحلم، الأناة، حُسن التعبير)

٣- اقتراحاتك لتحسين الدرس (في أسلوب الشرح، في متابعة الطلاب. ونحو ذلك.)

٤- شُكر المعلم والدعاء له.

فقه التعقيب على كلام المعلم بالنقد:

- حُسن القصد -جودة التعبير -الأدب والاحترام. متى يكون علنا ومتى يُسر إليه؟

بعد الدرس (مراجعة، قراءة، تلخيص، تحويل الدرس إلى (س و ج)، اختصار، إشكالات.

(وسياتي الحديث عن هذا أثناء بقية طرق التحصيل إن شاء الله)

ومن فقه القراءة والمُطالعة:

من صور تحسين القراءة:

القراءة بخُطّة مختصرُها: تقسيم المادة المقروء والفصل بين وِحداتها، وإدخال عنصر الإبداع.

أولا التقسيم: فإن المقروء قد يكون فكرة / مقالة (قد تكون مركزّة أو فرعيّة) أو أصل بُنيت عليه، أو دليل لها، أو قاعدة، أو مثال، أو فائدة.

ثانيا: حُسن استثماره: فهم المعلومة، وتصنيفها، وصياغتها، واستثمارها وتوظيفها، أو تلخيص الفكرة، أو تقسيمها لنقاط، أو عملها في شكل خارطة.

حاول تُطبّق هذه الطريقة على فصل من كتب الأئمة المحققين مثل الشافعي، ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، وابن كثير، والشاطبي. ونحوهم.

ومن وسائل التحصيل: الاستماع على الدروس والمحاضرات عن طريق النت، والمدارسة الجماعية، والتلخيص والاختصار، والتحضير تحضير الدروس والمحاضرات، والبحث العلمي، والتعليم والتدريس والخطابة والمحاضرة، وكتابة المقال، والتأليف والتصنيف

(٢٦) تضييع الأوقات القصيرة، وسائل التواصل وحرق العمر.

لا أعلمُ شخصًا واحدا بدأ في طلب العلوم (الشرعية أو الإنسانية) بعد انتشار وسائل التواصل، وهو مهتمّ بهذه الوسائل ومشغولٌ بها= ويكون قد رسخ في هذه العلوم أو وقف على قدميه في بابٍ واحد منها– اللهمّ إلا الثقافة الأُفقيّة العامة، واتساع الأُفق.

ليس ذلك تقليلا من فوائد هذه المواقع وأثرها في التوجيه والإرشاد والنفع = ولكنه بيان لواقع خبرتُه من عشرات الأمثلة الذين عرفوا عشرات الخُطط والبرامج عن طريق المتخصصين في كل المجالات منذ ست سنوات على الأقل، ومع ذلك لم يعملوا بها ولم ينتظموا لا عليها ولا على غيرها.

ينتقلون من خطة لأخرى، ومن مسألة مُثارة لأخرى، ومن سطحيّة لسطحيّة.

ويسمعون درسا أو درسين من دورة ثم ينتقلون لغيرها.

رُبما يكون السبب الرئيس لهذا القصور بحسب رأيي:

(لا يرجع لعدم اقتناعهم بقيمة المعرفة والعلم، وتقدير المتخصصين، بل كثير من الشباب مُعجَب جدا بل مُنبهر {ربما يصل للغُلو} بمن يراهم متخصصين في أبواب المعرفة، ويفرح بطرحِهم، ويسعد بتحليلاتهم الدقيقة في مجالات تخصصاتهم، ويرى فرقًا بين طرحِهم وطرح غير المتخصص) لذلك ترى كثيرا ممن يراهم الشبابُ متخصصين: يكثُرُ متابعوهم والمتفاعلون مع منشوراتهم، والمهتمّون بهم الذين يرسلون لهم رسائل كثيرة يطلبون فيها خُططا وبرامج وسُبلا لبلوغ التخصص والدِّقة ونحو ذلك...

إذنْ: أين هي المُشكلة؟

هي باختصار:

- ✓ **العجلةُ** في محاولة الوصول للتخصص أو لتحصيل العلوم (العجلة في قطف ثمرةٍ لم يغرسوا حَبَّها ولا سَقَوا تُربتَها ولا تعاهَدوها بالرعاية، استعجال نَيْل جائزة لم يسلكوا سبيلها)
- ✓ **العجلة** في أن يكونوا في ذات الوقت مؤثرين مُتابَعين، يَكتبون ما يلفت الانتباه ويُتفاعَلُ معه
- ✓ إرادة أن يكونوا محل اهتمام، وأحد محاور وسائل التواصل، ممن يُعتنى بهم، ويُترقّبُ ما يكتبون، ويُسألُ عنهم إذا غابوا {بغضّ النظر عن النيّة في ذلك أهي إرادة النفع أو طلب الشهرة أو الرياء}

✓ كثيرٌ منهم يريد أن يكون نُسخةً ممن يُعجبه ممن يراهم متميزين، ويعيش حياتَه بتفاصيلها، لا يُحسن أن يأخذ من المتميزين حولَه ما يناسبه ويناسب واقعه وإمكاناته.

✓ إضافة إلى ما هو معروفٌ من استهلاك الوقت والجهد والانشغال على وسائل التواصل ونحوها بما لا يستحق، والكسل ونحو ذلك (لكني هنا أُركّز على من يجتهد ويتعب لكنه مع ذلك لم يُحصّل شيئا يُذكر)

(وسيأتي التنبيه على مُعوّق طلب الشهرة إن شاء الله)

(٢٧) ضيق الصدر لأي مشكلة في البيت مع الزوجة أو الأولاد أو الإخوان أو مصيبة تنزل بك أو بأحد من أحبابك أو بما يجري للمسلمين من قتل أو ظلم أو أي مُنغِّص آخر، وهذا يحدث لي أحيانا.

من أعظم معوقات العمل: ضِيق الصدر.

كما أن من أعظم ما يُعين على العمل والإنجاز: راحةُ البال وانشراح الصدر

وصاحب أيّ هدفٍ ربما يمتلك كلَّ الأدوات، ومع ذلك عنده ضيقُ نفسٍ. يمنعهم من العمل

وانشراحُ الصدر للعمل مُقدَّم على تحقق أدواته

بل قُل: هو الذي يترتّب عليه كل الأدوات، ولا تنفع بدونه

ومن هنا: تفهم أولَ دعاء الرسول الكريم الكليم عندما توجّه لهدفه الكبير الصعب ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾.

ثم الأدوات: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

وتفهمُ قولَ الله لنبيِّه ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

ومِنّتَه عليه ﴿أَلَمْ نشرحْ لك صدرك﴾.

ما دلالة هذه المقدمات:

✓ **أولا:** الأخذ بأسباب انشراح الصدر للعمل مُقدمةٌ للسعي فيه وإنجازه، وأعظم ما يُستعان به الدعاء.

✓ **ثانيا:** إذا وجدتَ انشراح صدرك لشيء من الخير فاحمد الله تعالى فهو نعمة يفقدُها كثيرون ممن يمتلكون أكمل الأدوات

تصوّر هذا في أخف الأمور: لو نِفسك مفتوحة للأكل-أيًا كان = فهي نعمة حُرِمها كثير من المرضى، وغيرُهم ممن يملكون المال وعلى موائدهم صنوف الطعام.

الدعاء والاستعانة بالله والعمل الصالح والعلم بقيمة ما تبذل، ربنا اشرح لنا صدورنا ويسّرْ لنا أمورنا فيما أردناه من الخير

ومن أظهر علامات قوة الإيمان:

ألّا يقع العبدُ في معصيةٍ {وقتَ غضبِه أو حُزنِه أو همِّه أو مصيبتِه أو مُشكلتِه}، وألّا يتركَ وِرْدَه من العمل الصالح ما علاقة مُتابعتك للأخبار والاهتمام بأمر المسلمين بأن تترك وِردك من العمل الصالح، بل هو في ذلك الوقت أحوجُ ما يكون إليه.

فالعملُ الصالحُ من أعظم ما تسكنُ به النفوسُ، وتطمئنُ وتنشرح، ويُخفَّفُ به الهمُّ، ويُكشَفُ به الغَمُّ.

ومن أعظم العمل الصالح في تلك الأوقات:

- ✓ الدعاء. الدعاء. الدعاء

فلو قصّرت في كل عمل صالح فلا تعجز عن الدعاء، فهو واللهِ سلاحُك.

وقال الله تعالى عن عبدِه النبيِّ الكريم أيوب عليه السلام، يذكُر حالَه مع الابتلاء العظيم الذي تعرّض له: ﴿إنّا وجدْناه صابِرا۞ نعم العبدُ إنّه أوّاب﴾. وجدناه صابرا على البلاء صبرًا جميلا، لا يحملُه البلاءُ على الخروج عن طاعة الله، والدّخول في معصيته، بل هو إلى طاعة ربِّه مُقبِلٌ، وإلى رضاه رجّاعٌ...

العاقلُ يستخرج من المشكلة فُرصة = فتتحوّل لدافِع وسعي وعمل

وغيرُه يجعل المشكلة الواحدة مشاكلَ كثيرة ويقعد بها عن العمل

الاختباراتُ التي يُمتَحنُ الناسُ بها مُتقاربة، لكنّهم يتناقضون في التفاعل معها

هذا شخصٌ وقع في ذنب، وهذا وقع في ذنب:

- ✓ **الأول** استسلمَ وجعل ذنبه مُقدمة لسلسة ذنوب
- ✓ **والثاني** أفاق وسعى في تعويض ذلك بالعمل الصالح وتجنُّب الأسباب التي تُوقعه في الذنب.

هذا شخصٌ تقدَّم ليُصلي بالناس أو يُلقي كلمة فتعْتع وأخطأ كثيرا =

فقال: أنا لا أصلح لذلك فقرّر ألّا يُكرر ذلك أبدا

وغيرُه: حصل معه نفسُ الموقف لكنه بحث عن أسباب ذلك وحاول أن ينظر في جوانب الخير فيما حدث له، **منها:** أن ينكسر ويتواضع، ويفتقر إلى الله، ويُحضّر جيدا ويتدرب أكثر.... ليكون مؤهلا فتحولّت المحنة لفرَجٍ ومِنحة وخير

هذا رُفض في وظيفة تقدّم لها، وذاك أيضا:

الأول: تحطّم وحصل له اكتئاب، ومرِض وانعزل.

والثاني: بحث عن أسباب ضعفه وعمِل على علاجها وتحصيل مقومات الوظيفة ليكون أهلا لها.

قريبٌ من ذلك ما يمرُّ بالعباد من فتن وابتلاءات، **فمنهم** من يُبصر ويهتدي ويخرج منتفعا منها، **ومنهم** من يضلُّ ويزداد ضلالا، قال موسى عليه السلام ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾.

(٢٨) التفريط في الوقت –التفريط في التعويض –وترك اغتنام المواسم (الأجازات والعُطلات)، والنظر فيه على أنه عبء يُتخلّص منه، والحق أنه فرصة تُغتنم.

(٢٩) لم يُشعر من حوله ممن يُخالطهم أو مَن لهم تأثير عليه بهدفه أو لم يشرح لهم قيمته.

منذ اليوم الأول من زواجه وهو لم يُشرك زوجته في خيرٍ يفعله، ولم يشرح لها هدفَه، ولم يُبيّن لها قيمته وشرفه، ولم يتفقّد إيمانها، ولم يُشغلها بأعمال نافعة = ثم يشتكي أن زوجته عائقٌ عليه في طلبه للعلم أو في غيره من معالي الأمور ؟!!!

بل هناك ما هو أعلى من مجرد إشعارهم = أنْ تأخذهم معك، ولا يلزم أن يكون على نفس هدفك بل تختار لهم ما يناسبهم من أهداف!

فقدرتُك على ألّا تسبح مع التيّار الخطأ الذي يسبح فيه غيرُك= **فهذه قوّة.**

لكنّ القويّ حقّا: مَن يكون هو التيّار! – نعم، يكونُ هو التيّارَ فيأخذُ مَن حوله إلى ما يراه حقا، يحرصُ عليهم، ويُوجِّهه، ويُمهّد لهم، ويرفع هِمّتهم، ويُعينهم، ويصبر عليهم. فما يلبثُ مَن أعانهم = أن يكونوا هم عونًا له وسندًا ليُكملوا الطريق معًا.

نموذج ابن تيمية:

لما دخل سجون مصر وجد السُجناء في ضياع وقت ولعب ولهو، فجدّ معهم حتى حوّلهم إلى أهل استقامةٍ وطلب علمٍ وتتلمذوا عليه، وكثير منهم يرفض الخروج من السجن ويرغب البقاء فيه مع ابن تيمية لِما وجد من العلم والعمل والخير الواسع.

بل إنَّ بعضهم كان يخرج ثم يعود إلى السجن يطلب أن يبقى فيه لأنه فقد الفوائد التي لم يجدها إلا عنده...

فصار البُعدُ عنه حبسًا ووحشة، والبقاءُ في سجنه حُريّةً وأُنسًا!

فكن تيارَ خيرٍ، ولا تكتفِ بأن تسبح وحدك ضد التيار الخطأ.

(٣٠) الانشغال بأن يعرف الناس جهدك وتعبك ومستواك وبأن يكون مشهورا يُلتمس عنده العلم ويُنتظَر كلامه وتعليقاته على الأحداث والمسائل.

فهذا من أعظم معوقات الطلب ومُفسد للنيات وسبب للشقاء والتشتُّت والانقطاع، كما أنّ من أعظم أسباب الاستمرار على البذل والسعي في طريق الخير على كُل حال = ألّا تنشغل -أبدًا- بأن يكون عملُك وصبرُك وعزمُك وتعبُك ونجاحُك وتميُّزك = قصةً مشهورةً يُضرب بها المثل، وتُحكى ويُثنى عليك بها، وتُشكر عليها وتُكرّم عند الناس بسببها.

رُبّما لو حصل هذا -حتى بدون قصدك -يضرُّك، ويُعيق نجاحك، وصدقك، ربّما تُفتَن به.

وكم قتلتِ الشُّهرةُ ناجحين وعُذّبوا بها!

حسبُك أن يعلمها من يملك الضر والنفع ومن لا تخشى معه ظلمًا ولا هضمًا.

* هناك رُسلٌ كرام لم يقصصهم اللهُ علينا، وصالحون، ودعاة، هناك مجاهدون قُتلوا في خنادقهم لا نعلمهم اللهُ يعلمهم. وهم في أعلى الدرجات مقاما عند الله

مَن فقِه هذا استراح واطمأن قلبه، وبقي مُجتهدا على كلّ حال

وفي الحديث "إنّ الله يحب العبد التقيَّ الغني الخفيَّ"

مَن لم يفقه هذا = تشتّت عليه شملُه وضاع عُمره، في التزيّن والتكلّف للخلق واسترضائهم. ولن يدفعوا عنك شيئا فلا يملكون شيئا من أمرك. ﴿والله ورسولُه أحقّ أن يُرضوه﴾.

وفي مثل ذلك قال الشافعي رحمه الله: «وددتُ أن الخلق يتعلمون هذا العلم ولا ينسب إليَّ منه شيء».

(أُثابُ عليه ولا يحمدوني)

عبد الرحمن بن أبي ليلى: «لقيتُ مائة من أصحاب النبي ﷺ ما منهم مُحدّثٌ إلا ودّ أخاه يكفيه الحديث، ولا مُفتٍ إلا ودّ أخاه يكفيه الفُتيا».

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾

ممّا يختصر عليك كثيرا من العناء ويُفرّغُك للأنفع:

أن يكون الذي يهمُّك أن يعلم عنك خيرا= هو الذي لا يخفى عليه من أمرك شيء، والذي يملك ضرك ونفعك. فتجتهد في مرضاته.

(٣١) الوقوف عند حد وترك التطوير المستمر

طلب العلم هذا مشوار حياة طريق لا نهاية له (وقل رب زدني علما)

من أسباب ترك تطوير النفس:

- بذل جميع الوقت للتدريس والدعوة،
- والدخول في الجدل،
- والتعليق على كل حادثة أو نازلة،
- وفتح أبواب على النفس قليلة الفائدة كمن يذهب للأعراس والعزومات
- ويقطع أوقاتا كبيرة فيما نفعه قليل،
- وكذلك فطلب العلم والبحث يُفجّر المسائل ويُشعر الطالب بالحاجة المستمرة للمزيد
- ومخالطة المتميزين من في مختلف المجالات كذلك يُشعرك بالحاجة لتطوير النفس

التطوير في ماذا:

- وهو مبني على تصور المشروع
- والعلم بما عندك وما ينقصك
- وكيف تحصّله، في العلوم (تدخل في العلوم التي تنقصك) والمهارات والمسائل وتطوير الأسلوب وطرائق التعليم.
- وغير ذلك من الإتقان «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»

(٣٢) تضييع أعظم غاية للطلب (إصلاح النفس) وإصلاح الخلق.

حتى صار كثير من أولئك الطلاب فتنة بضعف عبادتهم وسوء خلقهم واستعلائهم واستطالتهم وجلدهم للناس بما يعرفون

أبو عاصم النبيل رَحِمَهُ اللهُ: «مَن طلبَ الحديث فقد طلب معالي الأمور فيجب أن يكون خير النّاس».

الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ: «والواجبُ أن يكون طلبةُ الحديث، أكملَ الناس أدبا وأشد الخلق تواضعًا، وأعظمَهم نزاهة وتدينًا، وأقلهم طيشًا وغضبًا، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسنِ أخلاقِ رسول الله ﷺ وآدابه وسيرة السلف الأخيار، من أهل بيته وأصحابه وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها ويصدفوا عن أرذلها وأدونها))

وأعظمُ نصيحةٍ من شيخٍ لتلميذه = تلك التي ذكرها الإمامُ مالكٍ عن المعلّم الذي سأله تلميذٌ عن طلب العِلم، فقال له المعلّم:

«إنَّ طلب العلم لَحسنٌ، ولكن انظُرْ إلى الذي يلزمُك من حين تُصبِح إلى حين تُمسي: فالزمْه، ولا تُؤثِرنّ عليه شيئا».

الأشخاصُ الذين لا يفخرون على غيرهم ب (كَمّ أو نَوع) المعارف والمعلومات التي عندهم، أو بمساعدتهم لهم، أو بأي مجالٍ ينفعون النّاس فيه، **الذين** يخفضون جناحهم، **الذين** يسعون في نفع غيرهم بما يُحسنونه، ولا يتِيهون بذلك. ويستصغرون أعمالهم في سبيل الله، ولا يغترون بها. ولا ينتظرون محمدةً ولا شكورا. ويهضمون حقّ أنفسهم في سبيل الله:

- ✓ **أولئك** -بالتحديد -مَن أُحِبُّ أن أخصّهم بالدعاء، وأحملهم فوق رأسي
- ✓ **أولئك** هم التُربةُ النقيّةُ التي حدّث عنها سيدُ ولد آدم ﷺ تلك التُربةُ التي قبِلتِ الماء فأنبتَتِ الكلأ والعُشبَ الكثير ، **وبمثلهم يَقلُّ الشرُّ ويكثرُ الخيرُ.**

وانظر إلى محصلة العلم (الرحمة وحب الخير للمسلمين) ((اللهم من كان على هوى أو على رأي، وهو يظن أنه على الحق، وليس هو على الحق، فرُدّه إلى الحق، حتى لا يَضل به من هذه الأمة أحدٌ، اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفّلت لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خولاً لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا، ولا ترنا حيث نهيتنا، ولا تفقّدنا من حيث أمرتنا، أعِزَّنا ولا تذلنا، أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعاصي))

كنتُ أجلسُ في مكتبةٍ قد أعدّها شيخٌ فاضل وفتحها لطلّاب العلم، وكنتُ أبقى بها مُدة طويلة= اقرأ، وأتدرّب على تخريج الأحاديث ودراستها، وكنتُ وقتها لا أرى شيئا أهم من المطالعة والتحصيل، وبالتالي فالنوافلُ والأذكار ونحو ذلك شيء ثانوي ليس مهمّا، بل لا يستحقّ أن يُعاتِب الإنسانُ نفسَه على التقصير فيه. ما دامتُ مجتهدا في التحصيل.

قدّر الله –اللطيفُ–أن تقع عيني أثناء تجوّلي في المكتبة على رُكنٍ فيها، وإذا أخٌ طالب علم –كان بالنسبة لي وقتها نموذجا مثاليا في علم الحديث –فرأيته وفي يده (كتابُ عِلل الحديث) يستخرج منه معلومة يحتاجها في دراسته–قد ترك الكتاب لبضع دقائق: يُسبّح ويذكر الله خِفيةً قد بدا عليه الخشوع جدا، ثم عاد إلى (كتاب العِلل)، لا أستطيع وصفَ ولا عدّ ما جال في خاطري من معاني الخير وتزكية النفس والنيّة في طلب العلم، ومعنى أن يكون العلمُ نفسه عبادةً، تذكّرت الباقيات الصالحات.

من ذلك الموقف الذي لم يعلم صاحبُه أني كنتُ مُطّلعا عليه فيه:

- ✓ كان درسا مُبكّرا غير مباشر.
- ✓ كان لُطفًا من الله تعالى.

لا أدري = ربّما قُدّر أن أرى ذلك المشهد بسبب دُعاء لا أكادُ أنقطعُ عنه مُنذ وقتٍ مُبكّر: اهدِني لِما اختُلف عليّ من الحق، وارزقني بناصحٍ أمين، اللهم آت نفوسنا تقواها وزكّها، أنت خير من زكّاها.

وأعرفُ مَن كان من طلبة العلم لا ينقصه ذكاء ولا همّة، ويقضي عشر ساعات على الكتاب يوميا (على الأقل)، ويحضر لكبار المشايخ، وهو في صحبة أفاضل، وعنده مكتبة كبيرة.

- ✓ هو الآن يتقلّب في الفتن.

لم يغب عني (وقت طلبه للعلم) أنّه قريبٌ جدا من الفتنة = وكنت أعلمُ من أين يُؤتى، وكم حذّرته ودعوتُ له، ولا زلت.

والخصلة التي أظنّه أُتِي منها أنه:

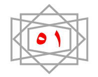
- ✓ لم يكن يعتني بتزكية النفس، ولا يجاهد نفسه على الطاعة (حتى في مواسم الخير كرمضان وعشر ذي الحجة).
- ✓ لم يكن يفكّر سوى في المعلومة الجديدة لا سيّما إن كانت غريبة أو غير مألوفة!!

كلمّا كان يزيد معرفة وعلما = كان يزداد سخرية وانتقاصا من:

- ✓ –واعظٍ بسيط يلقي كلمة
- ✓ –أو خطيب جمعة يلحن في اللغة
- ✓ أو إمام يُذكّر الناس بحديث ضعيف.

والفرق معلوم بين بيان الغلط والنصح، وبين السخرية.

لم أر شيئا حسنا ازداد عنده بعد علم.



ولم أر خُلقا سيئا غاب عنه بعد علم.

ظلّ ينظر إلى المواعظ على أنها: تصوُّف ودرْوشة.

وإلى أبواب العبادة والنوافل: على أنها ليس أَولى ما يُشتَغلُ به ولا أن يُبذل له ولا يُتفَقَّدُ ويُحاسَبُ عليه

ولو لامَه أحدٌ على تقصيره فيها: اتّهمه بالدروشة والعبَط.

حتى سقط مغشيّا عليه في بحر شهواتٍ لا ساحل له، وليس معه ما يُقاوم به

ولم ينفعه في محنته تلك: كميّةُ المعلومات المجردة التي كان يحرص على جمعها!

لا أقطع بأني مصيب في تحليل تلك الظاهرة، لكنها تكررت أمامي كثيرا والنتيجة واحدة = مفتون في دينه.

هذا الطريق (طلب العلم) إن لم يصحبه مجاهدةٌ في تزكية النفس، وتنقية القلب ومسارعة في الخيرات واغتنام لمواسم الخير، وإتْباع السيئة بالحسنة، وتعويض ما يفوت من خير = كان ضرّه أكثر من نفعه بكثير، بل يتحول العلم إلى سيفٍ يَقتلُ صاحبه.

(اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك، لا تُزغ قلوبنا – إنّا لما أنزلت إلينا من خيرٍ فقراء – ضللْنا إن لم تهدنا)

كنتُ وإيّاه بالمكتبة التي أُعدّت لتحصيل العلم، فقلتُ له –وهو طالبُ علمٍ جديد يظهرُ عليه حُسنُ الفهم والهِمة والعزم والاستعدادُ للبَذْل –: « ليكُن أخصَّ ما تسعى له في طريقك هذا: أن تُزكي قلبك، وأن تُصلح نفسك أكثرَ من حرصك على المعرفة المجرّدة وجمع المعلومات، وليبق ذلك ميزانَك، فقد سبقكَ إلى هذه المكتبة وهذا الطريق أقوامٌ كانوا على: همّة وعزم، وذكاء، وبَذْلٍ، وكان يجلسون على الكتاب أكثر من عشر ساعاتٍ يوميّا، وحصّلوا قدرا كبيرا من المعرفة، وكانوا يرونَ تزكيةَ النفس ومحاسبتَها والاعتناء بأمر الاستقامة والعبادات أمرا ثانويّا، بل دروشةً وإضاعةً للوقت = هُمُ الآن لا يُصلّون الفرائض ولا الجُمُعة، ويفعلون الموبقات = هُم الآن فَجَرةٌ بمعنى الكلمة!

وقد كان الناسُ يُؤمِّلُون فيهم (ابنَ تيميةٍ جديد) !!! لما يرونه منهم من ذكاء وهِمّة وطُول القراءة وبلاغة الكلام.

حسبوا {ابنَ تيمية} يُصنَعُ بمجرّد الهمّة والذكاء والمعرفة وكثرة المعلومات!

غفلوا عن الأساس المحرّك، غفلوا عن شرط نفع المعرفة: ((تقوى الله/مجاهدة النفس وتزكيتها وإصلاحُ القلب وإرادة الآخرة)) ...

ابن تيمية –رحمه الله – يقرر هذا المعنى، و هو أن طالب العلم إن لم يقترن بطلبه فعل ما يجب عليه –وترك ما يحرم عليه –من الاعتصام بالكتاب، والسنة فقد يقع في الضلال، **يقول:** «لو اعتصم رجلٌ بالعلم الشرعي من غير عمل بالواجب كان غاويًا، وإذا اعتصم بالعبادة الشرعية من غير علم بالواجب كان ضالا».

فمن أعظم الغبن: أن يكون عند الإنسان معرفة، واطلاع، وبصر فيما يحبه الله ويرضاه، ثم بعد ذلك يستوي مع من لا علم له، ولا بصر.

(٣٣) حصر الجُهد والوقت في الأبحاث في الأبحاث المعاصرة والمختصرات وتضييع كنوز تراث الأئمة المحققين.

فعُكوفُك–مهما طال، ومهما اجتهدتَ –على كُراسة الشيخ، والأبحاث المعاصرة، والمختصرات وكتب س و ج أو التقسيمات والتشجير أو تغريدات ومقالات طلاب العلم ونحوها لن يصنع منك طالبَ علمٍ راسخا أو باحثا قويّا أو حتى متوسطًا في علمٍ ما ((مع عظيم فائدة ذلك كلّه ونفعه، واختصاره عليك))

فلكلّ مَن جعل أغلبَ أو كلَّ جُهده ووقته في طلب العلم موجّها لمتابعة المشايخ المعاصرين أو طلاب العلم أو الأبحاث المعاصرة أو كتب المختصرات أو الأوراق التي يَكتبها له مُعلّمه. أقولُ:

هذا بلا شك بابٌ من أبواب النفع، وهو من المقدمات الجيدة للدخول في عالم طلب العلم الشرعي، وله دَورٌ في تسهيل الدراسة، لكنّ من أعظم الغلط في التحصيل أن تصرف وقتَك أو أغلبَه لمثل هذه الوسائل، لابد أن يكون لك برنامج موازي تُعطيه الوقت والجهد الكبير لاستقراء تُراث الأئمة المحقّقين.

فحينما تبدأ رحلة استقراء ودراسة تراث الأئمة المُحقّقين في أبواب العلوم المتنوعّة ((أبي حنيفة، محمد بن الحسن الشيباني مالك، الشافعي، أحمد، البخاري، مسلم، الطبري، ابن خُزيمة، الدارقطني، ابن أبي حاتم، الجويني، النووي، السُّبكي، ابن تيمية، ابن القيّم، ابن رجب الحنبلي، وابن الصّلاح، ابن كثير، الذّهبي، ابن حجر، ابن هشام الأنصاري...)) وأشباههم من أهل العلم = **دراسةً متأنيةً–بعد دراسة أصول العلم ومقدّماته وقواعده من الكتب التي تصلح كبداية وتوطئة لذلك التراث** وتدخل بخُطّة على كلّ كتاب تُقسّمه فِقرات، وتستخرج مسائله وفوائده وقواعده، ومنهج المؤلف في العرض والتقرير والبحث والاستدلال والمناقشة لما يُخالفه. ونحو ذلك وتبقى على ذلك زمنا تعيش في تلك الأجواء، فإنّ لكلّ علمٍ لُغةً وطقسًا يُدرَك عند دراسة كتب أئمته المحققين =

- ✓ ستشعر إن شاء الله بنقّلات كُبرى في حياتك السلوكيّة والعقلية والمعرفيّة، وستُدرك –إن شاء الله –أنّ كثيرا جدا من الأبحاث التي تنبهر بها، وتظُنّها بلغت النهاية في التحرير والتحقيق، والباحثين الذين تظنّهم مُتخصّصين مُدقّقين في الأبواب المتنوعة = أنهم عاديّون جدا، ويأتون بما يمكن أي باحث مُجدٍّ أن يبلغ أضعافه.
- ✓ وأنّ المعلومات التي تسمعها بانبهار هي مبثوثة بسهولة في مظانها من تلك الكتب، ليست ألغازا ولا من عجائب الدُّنيا السبعة !!
- ✓ وستعلم: كم ضيّعتَ من الكنوز حينما قصّرت في التعرُّف على تراث أئمة الإسلام.

✓ وكم خسرتَ حينما حصرتَ وقتك وجهدك في العكوف على مجموعة أبحاث ورسائل دكتوراه معاصرة لم تكن أبدا-مع ما فيها من خير ونفع -لتبلغ شيئا مما كنتَ ستغنمه من مدارسة ذاك التراث العظيم.

وكم هي المعلومات، والمهارات، والتزكية والهِمّة التي كنت ستعيش معها أثناء رحلتك معهم.

أنا واثقٌ من ذلك جدا إن شاء الله.

ولا يُمكن أن ينبُل في العلوم من حصر نفسه بعيدا عن تراث الأئمة المحققين مهما قرأ من المُعاصر، ومهما بلغ من الذّكاء، فهؤلاء لابدّ من العبور من طريقهم حتمًا.

من هم؟ وما صفتهم؟ وماذا عن تراثهم؟ وما قيمته في تكوين الطالب؟ وكيف نقرأ لهم وننتفع بتراثهم؟

فأقولُ:

أعني بالأئمة المحققين: أئمةَ الإسلام وعلماءَه-بمختلف تخصصاتهم -الذين نُقل عنهم تراثٌ مُحقق مُحرر في أبواب العلم المتنوعة ومسائله واعتنوا فيه بتحرير المسائل وتصويرها وجمعِ الأقوال وحُججها وأصلها، وبحثوا فيها وحرّروا وحققوا، ثم رجحوا وقرروا واستدلوا وناقشوا، من أمثال أبي حنيفة، ومحمدِ بن الحسن الشيباني، مالكٍ، والشافعيِ، وأحمدَ، وابن معين، وعلي بن المديني، والبخاريِ، ومسلمٍ، والنسائي، والطبريِ، وابنِ خُزيمةَ، والدارقطنِي، وابنِ أبي حاتمٍ، والجويني، والنووي، والسُّبكي، وابن تيمية، وابن القيّم، وابن رجب الحنبلي، والشاطبي، وابن الصّلاح، وابن كثير، والذّهبي، وابن حجر، وابن هشام الأنصاري...)) وأشباهِهم من أهل العلم.

***ويمكن أن نحصرَ ما جاء في تراث الأئمة في اتجاهين:**

– مقالات ونتائج.

– ومنهجية

وأعني بها: منهجَهم في البحث والنظر والجمع، والاستدلال والتقرير والنقد والمناقشة، وأخلاقَهم.

فالمطالع لتراث الأئمة المعتني بمجرد سؤال: ماذا قالوا ؟،ما هي النتائج التي وصلوا إليها؟

= **لا أبالِغ إذ أقول:** إنهم فاتَهُم أهمُ وأخصّ ما كان ينبغي أن يطلبوه ويلاحظوه ويتفكروا فيه ويُقيّدوه =أعني طرائق النظر والاستدلال والنقد وأخلاقَهم.

فالذي تكونُ مُحصِّلةُ مُطالعته=أن مالكا أفتى بكذا، أو أن قولَ أحمدَ في كذا هو كذا، أو أن ابنَ معين أعلَّ حديث كذا، أو أن ابنَ تيمية ردَّ على فلان بكذا. ونحو ذلك= فهذا كمن خرج من بحرٍ مليء بالكنوز بقطراتِ ماءٍ، وترك ما فيه من الكنوز والخيرات!

ولا شك فإن ذلك النموذج السطحي للقراءة لا يمكن أن يجد في تراث الأئمة تجديدا لا يرى فيه ما يُفيدُ منه في النظر والبحث في الحوادث النازلة والمسائل المعاصرة.

وهنا أنبّه على:

أن كتب المختصرات التي تُلخّص مقالات العلماء ونتائج بحثهم -مع ما فيها من نفع كتقريب وتسهيل العلوم-تُفوِّت أجلَّ ما في مصنفات العلماء من الفوائد =كيف وصلوا إلى تلك المقالات وتلك النتائج وكيف قرّروها واستدلوا لها وأجابوا عما يُشكِل عليها، وردُّوا ما يخالفها؟

وكذلك فإن المعلّمَّ الذي لا يُحصّل طلابُه منه إلا نتائجَ مقررَّةً يُلزمهم بقبولها دون مُدارَسة ولا بحث، ولا استدلال، ولا حوارٍ ولا نقاشٍ ثم يكونُ أمثلُهم طريقةً من يحفظ فيها دليلا أو اثنين =فإن ذلك المنهجَ الغلطَ في التعليم (منهج التلقين والتحفيظ) لا يُخرجُ باحثا جيدا ولا طالبَ علمٍ متميزًا، بل يُخرج-إن أخرج-مجردَ حافظٍ يُرددُّ نتائج لا يعرفُ من أين أتت ولا كيف أتت؟ ولا يُحسن عرضَه ولا تصورَه ولا تحليلَه ولا الاستدلالَ له ولا مناقشةَ ما يُشكِل عليه ولا ردَّ ما يُخالفه.

فلْتعمْ أيها الطالبُ:

أن عُكوفَك-مهما طال، ومهما اجتهدتَ -على كُراسة الشيخ، والأبحاثِ المعاصرة، والمختصرات، وكُتب س و ج أو التقسيمات والتشجيرات أو تغريدات ومقالات طلاب العلم ونحوها لن يصنعَ منك طالبَ علمٍ راسخا أو باحثا قويّا أو حتى متوسطًا في علمٍ ما ((مع عظيم فائدة ذلك كلّه ونفعه))

فكلّ مَن جعل أغلبَ أو كلَّ جُهده ووقته في طلب العلم موجّها لمتابعة المشايخ المعاصرين أو طلابِ العلم أو الأبحاث المعاصرة أو كتب المختصرات أو الأوراق التي يَكتبها له مُعلّمه = فقد أخطأ طريق النبوغ

فمن أعظمِ الغلط في التحصيل أن تصرف وقتَك أو أغلبَه لمثل هذه الوسائل

لابد أن يكون لك برنامج موازي تُعطيه الوقت والجهد الأكبر لاستقراء تُراث الأئمة المحقّقين.

فحينما تبدأ رحلة استقراء ودراسة تراث الأئمة المحقّقين في أبواب العلوم المتنوعّة دراسةً متأنيةً-بعد دراسة أصول العلم ومقدّماته وقواعده من الكتب التي تصلح كبداية وتوطئة لذلك التراث

وتدخل بخُطّة على كلّ كتاب تُقسّمه فِقرات، وتستخرج مسائله وفوائده وقواعده منهج المؤلف في العرض والتقرير والبحث والاستدلال والمناقشة لما يُخالفه. ونحو ذلك وتبقى على ذلك زمنا تعيش في تلك الأجواء، فإنّ لكلّ علمٍ لُغةً وطقسًا يُدرَك عند دراسة كتب أئمته المحققين =

ستشعر إن شاء الله بنقّلاتٍ كُبرى في حياتك في خُلُقِك وعقلِك وقلبِك، وستُدرك -إن شاء الله -أنّ كثيرا جدا من الأبحاث التي تنبهر بها، وتظنُّها بلغت النهاية في التحرير والتحقيق= سترى أنها عادية بل غيرُ مُحررةٍ، ويُمكنك أفضلُ منها.

والباحثين الذين تظنّهم مُتخصّصين مُدقّقين في الأبواب المتنوعة = ستعلمُ أنهم عاديّون جدا، ويأتون بما يمكن أيَّ باحثٍ مُجدٍّ أن يبلغ أضعافه.

وأنّ المعلوماتِ التي تسمعها بانبهارٍ وتتحيّرُ من أين يأتون بها ستعلمُ أنها مبثوثة بسهولة في مظانها من تلك الكتب، ليست ألغازا ولا من عجائب الدُّنيا السبعة !!

وستعلم: كم ضيّعتَ من الكنوز حينما قصّرتَ في التعرُّف على تراث أئمة الإسلام.

وكم خسرتَ حينما حصرتَ وقتك وجَهدَك في العكوف على مجموعةِ أبحاثٍ ورسائلَ دكتوراه معاصرةٍ لم تكن أبدا- مع ما فيها من خير ونفع - لم تكن لتبلغَ شيئا مما كنتَ ستغنمه من مدارسة ذاك التراث العظيم.

وكمْ هي المعلوماتُ، والمهاراتُ، ومعاني التزكيةِ والهِمّة التي كنت ستعيش معها أثناء رحلتك معهم.

* أنا واثقٌ من ذلك جدا إن شاء الله.

ولا يُمكنُ أن ينبُل في العلوم من حصر نفسه بعيدا عن تراث الأئمة المحققين مهما قرأ للمعاصرين، ومهما بلغ من الذّكاء.

فهؤلاء الأئمة لابدّ من العبور من طريقهم. حتمًا

ولكن كيف نبدأ في الاستقراء لننتفع بتراثهم، كيف نجني تلك الثمار من مُطالعتنا لكلامهم:

أنت أولا:

تحتاجُ انتقاءَ الأئمةَ الذين يستحق تراثُهم أن يُدرسَ بهذه الطريقة الدقيقة، فليس كل من تكلم في العلم يستحق أن يُعتنى بكلامه على هذا النحو.

ثانيا:

تحتاج ((أرضية قوية في الباب الذي تختار الاستقراء فيه، وما يحتاجه من المقدمات)) فلابد أن تعلم الباب الذي تقصد الاستقراء فيه، وأن يكون لك مطالعةُ في مقدمات هذا العلم من الكتب والأبحاث التي تُسهِّلُ الدخول في ذلك العلم، ومعرفة أبوابه ومسائله وتُدْخلُك في جوِّ ذلك العلم

فقراءةُ الكتب والأبحاث المحققة ومعرفة رؤوس الأبواب والمسائل والإشكالات في العلم الذي تنوي الاستقراء فيه تلك خطوة رئيسة وأوليّة لا يمكن الاستغناءُ عنها

فهي بمثابة الكشّافِ الذي يُنبّهك على أن هذه (مسألة) أو هذه (فائدة) ينبغي التقاطُها

وأنّ هذه (قاعدة) وأن هذا (إشكالٌ) وأن هذا (جوابُه) وهذا.

وبناء على ذلك تستطيع أن تُحدد العناصر التي تبحث عنها في استقرائك

فأنت حينما تقرأ مثلا تفسير إمام المفسرين ابنِ جرير الطبريِّ رحمه الله لابد أن تصنع قائمة عناصر مناسبة من ذلك مثلا –

- ✓ –قواعد في التفسير.
- ✓ –منهجه في عرض الأقوال
- ✓ –منهجه في عرض الخلاف
- ✓ –من أسباب الخلاف في التفسير
- ✓ –أنواع الخلاف في التفسير
- ✓ –موقفه من الإسرائيليات
- ✓ –موقفه من القراءات
- ✓ –منهجه في الاستدلال
- ✓ –منهجه في طرح الإشكالات والجواب عنها
- ✓ –قرائن الترجيح
- ✓ –استنباطات جميلة
- ✓ –اعتقاده
- ✓ –المفسرون من السلف
- ✓ –استدراكه على المفسرين
- ✓ –منهجه في عرض الأقوال التي يراها خطأ وتخطئة الأقوال وأسبابها
- ✓ –أمثلة من تفسير القرآن بالقرآن
- ✓ –أمثلة من تفسير القرآن بالحديث النبوي
- ✓ –أمثلة من تفسير القرآن بأقوال الصحابة –أمثلة من تفسير القرآن بأقوال التابعين
- ✓ –أمثلة من تفسير القرآن بالإسرائيليات
- ✓ –أمثلة للنسخ
- ✓ –الشواهد الشعرية، على ماذا يستشهد بها
- ✓ –الشعراء الذين ذكرهم
- ✓ –فوائد لغوية
- ✓ –استدراكه على اللغوين
- ✓ –فوائد في علوم القرآن
- ✓ –الألفاظ التي فسّرها، مثل: العالمين، الصراط، الهدى، الشرك، التوبة ونحو ذلك

كيف عرفتُ تلك العناصر؟ عرفتها عن طريق الكتب والأبحاث المحققة في الباب، وكذلك ظهرتْ لي بعض العناصر من خلال نفس الكتاب الذي أُطالعه.

ثالثا:

وتحتاج تعلُّم مهارات ستحصل لك شيئا فشيئا إن شاء الله، وستعينك على تحصيل متميز وانتفاع مما تقرأ مثل: ((حسن قراءة، والفهم، وكيفية التقاط (الفائدة) و (القاعدة) و (المسألة)، وتتعلم كيف تقدر الفائدة قدرها، وأين تضعُها، يعني أي بابٍ تُلحَقُ به، وكيف توظفها وتستثمرها، وكيف تجمع النظائر، وتُرتب الأفكار والفوائد، وتعرفُ الموضوعاتِ الرئيسة للكتاب، وأهمَ المسائل، وأخصَّ مقاصد المؤلف، وتتعلم كيف تدخل إلى كل كتاب بقائمة عناصر تطلب فوائدها بحسب الكتاب ومؤلفه وبحسب هدفك من الاستقراء ومنزلة الأهداف)

رابعا:

في الاستقراء كذلك يحتاجُ الدارسُ لتراث إمامٍ ما: أن يُفرّقَ في كلامه بين موضع الدراسة المفصّلةِ لمسالة، وبين الموضع الذي ذكرَ فيه قولا دون تفصيل أو استدلال أو رد.

وغيرُ ذلك من طرائق الانتفاع بالمطالعة لتراثهم مما سنبيّنُه بشكل تطبيقي أثناء قراءتنا لتراثهم إن شاء الله

والسؤال الأن: كيف نقرأ لنستخلص المنهجية؟

يبدأ ذلك بمجموعةِ نقاطٍ، بمجموعها يخلص القارئ – إن شاء الله –على منهجية المؤلف. وهي باختصار:

معرفة المسائل التي تعرض لها المؤلف خلال كتابه

وفي كل مسألة:

- ✓ –ما هي المسألة أو القضية التي تُبحث؟
- ✓ –ما هي النتيجة التي يريد المؤلفُ الوصول إليها؟
- ✓ –كيف بحثها ونظر فيها؟
- ✓ –كيف وصل إلى تلك النتيجة؟
- ✓ –كيف قرّرها وعرضها؟
- ✓ ما هي الأصول التي بنى عليها قوله؟
- ✓ ما هي أدلته ووجه استدلاله بها؟
- ✓ –كيف ناقش ما يُشكل عليها؟
- ✓ –كيف ناقش المقالات المخالفة لها؟